الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون_تيارت_

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ

المغرب العربي الحديث والمعاصر بعنوان:

المقاومة في الجنوب الجزائري

ثورة الشريف محمد ابن عبد الله (1852_1861م)

(نموذجا)

إعداد الطالبة: تحت إشراف الأستاذة:

قرنابي عيساوية حـباش فـاطمة

الموسم الدراسـي: 2013 _2014م

بسم الله الرحمن الرحيم.

إهـــــــداء

أهدي باكورة هذا العمل المتواضع إلى

والدي العزيزين أطال الله لي في عمرهما و حفظهما

كما أهديه إلى أقرب الناس إلي:

إخوتي سعيد، خالد وخالدية

وزوجي أحمد بوحداجة.

وإلى جميع الزملاء و الزميلات الذين درسوا معي خلال السنوات الجامعية

التي كانت بمثابة إشراقه وتعلم في هذه الحياة.

قرنابي عيساوية.

كلمة شكر وعرفـان.

أشكر الله عز وجل شكرا يوافي نعمه ويزيد على أن وفقني في إتمام هذا العمل.

ثم اتوجه بالشكر إلى الاستاذة المشرفة:

حباش فاطمة

التي تجشمت عناء الإشراف على هذا العمل، ولم تبخل على بنصائحها القيمة

فوجهتني حين أخطأت، وشجعتني حين أصبت

فاشكرها مجددا وأتمنى لها التوفيق في حياتها العلمية والعملية

وأشكر كل أساتذة قسم التاريخ

وعاملة مكتبة الجامعة

وعمال مصلحة الأرشيف بتيارت

كما لا أنسى زميلتي بن فاطمة حليمة

وصديقتي المخلصة طاطا جميلة

وعميش فاطمة

على مديد الدعم والمساعدة فجزاهم الله عني كل خير.

قائمة المختصرات.

بالعربية:

تر: ترجمة.

تح. تحقيق.

دب: دون بلد.

دس: دون سنة.

دط: دون طبعة.

ص: صفحة.

ط: طبعة.

ع خ: عدد خاص.

ج: جزء

بالفرنسية:

B. S. G. O. Bulletin de la Societè de Gèographie et Archèologie de la Province d'Oran.

R A. Revue Africain.

واجه المستعمر الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر مقاومة شرسة تمثلت في ثورات شعبية قادها العديد من الزعماء ذوي النفوذ الديني والسياسي فالنصف الأول من القرن التاسع عشر شهد مرحلة شبه منظمة للمقاومة التي شملت جهات واسعة من الوطن كان أبرزها في الشرق الجزائري بقيادة أحمد باي و الغرب الجزائري بقيادة الأمير عبد القادر. لكن فشلها قد أتاح للمستعمر الفرنسي المجال لمواصلة تنفيذ مخططاته التوسعية. فبعد الاحتلال الشبه التام للمناطق الشمالية وبغرض حمايتها، وجهت فرنسا أنظارها نحو الجنوب بمناطقه الهضابية والصحراوية، والتي لم يكن سكانها أقل شجاعة من الثوار الذين سبقوهم. فقد اصطدم هذا المستعمر مرة أخرى بوجود سد منيع من الجزائريين على استعداد للمواجهة والتضحية. فلم يتوانى هذا الأخير عن استعمال الإبادة الجسدية من خلال ممارسة كل أساليب التعذيب والتشريد والسجن لقتل روح المقاومة التي أصبحت كفتيل شعلة ما إن تنطفئ في منطقة حتى تعود لتشتعل في منطقة أخرى.

فهاهو عقد الخمسينيات يشهد ثورة من أشد الثورات التي وقفت في وجه المخططات اللاستعمارية الهادفة لاحتلال مشارف الصحراء. هذه الثورة التي لم تختلف من غيرها من الثورات الشعبية. فقد ميزها الارتباط القوي بالزعامات الدينية التي تتمتع بتأثير واسع على القبائل الجزائرية. فقد برز هذا التأثير وبشكل كبير في ثورة **الشريف محمد ابن عبد الله** بمنطقة ورقلة ونواحيها، وهو الموضوع الذي سلطنا عليه الضوء للدراسة والبحث. ولعل من أهم الأسباب والدوافع التي حفزتنا على اختيار هذا الموضوع هي:

1_ محاولة التعرف على المقاومة بالجنوب الجزائري، خصوصا وأنها لم تلق حقها من الدراسة مثل المقاومة في المناطق الشمالية، ومعرفة أهم الأحداث والمعارك التاريخية التي لايزال يلفها النسيان ويكتنفها الغموض.

2_ الغموض الذي يكتنف شخصية الشريف محمد ابن عبد الله، خاصة وأن الدراسات التاريخية حوله قليلة جدا مقارنة بشخصيات ثورية أخرى تزامن ظهورها معه بالرغم من أن نضاله أخذ فترة قاربت النصف قرن من الزمن، وعليه كان من الواجب إخضاعه للدراسة.

3_ محاولة توضيح التأثير الديني في المقاومة من خلال بث روح الحماس ونشر فكرة الجهاد المقدس بين القبائل، والتعريف بالسند الذي اعتمد عليه النضال الجزائري خلال القرن 19.

4_ التعرف على أهم القبائل الصحراوية وطبيعتها السياسية، وكذا جغرافية المنطقة الشرقية للصحراء والتي كانت مسرحا لأحداث الثورة.

وبطبيعة الحال كأي موضوع بحث علمي، فإن هذه الدراسة لم تخلو من الصعوبات والتي تمثلت في:

_ قلة المصادر والمراجع التي تتناول موضوع الثورة بشكل دقيق، فمعظمها احتوت على معلومات شاملة، وكثيرا ما تكون ناقصة، فقد أهملت البعض منها فترات مهمة من الثورة. كالفترة التي قضاها محمد ابن عبد الله بتونس وهي فترة طويلة، على عكس الشرح الوافي حول نشاطه في الأغواط والذي تطرقت إليه جل المراجع.

_ التطابق النسبي في المعلومات عند بعض المراجع، فالمعلومات كثيرا ما كانت تتكرر ولا تأتي بالجديد.

_ غياب المعلومات البيبليوغرافية في بعض الكتب الإلكترونية، كدار النشر والبلد والترقيم لصفحات الكتب. خاصة وأن جل المادة العلمية المستعملة كانت من المكتبات الرقمية.

ولمعالجة الموضوع بشكل علمي دقيق انطلقنا من إشكالية عامة تمحورت حول **"ما مدى مساهمة ثورة الشريف مجمد ابن عبد الله في الحد من التوسع الفرنسي بالجنوب الجزائري؟"**. تفرعت عنها تساؤلات واستفهامات أخرى حول **من هو محمد ابن عبد الله؟، وماهي طبيعة علاقته بالسلطة الاستعمارية وموقفه منها؟، وماهي أهم المراحل التي مرت بها ثورته؟، وكيف كانت نهايتها؟، وما مصيره بعدها؟.**

وللإجابة على هذه الإشكالية العلمية اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي الذي مكننا من عرض الأحداث التاريخية للثورة وتحليلها، ووصف مواقف وأدوار محمد ابن عبد الله فيها. كما استعنا بالمنهج الإحصائي وذلك بذكرنا لبعض الإحصاءات من تعداد للقوات العسكرية، والخسائر البشرية خلال المعارك.

ولإثراء بحثنا هذا تم الاعتماد على مصادر ومراجع هامة تأتي في مقدمتها ما يلي:

العقيد ترو ملي "Trumelet" والذي أولى اهتماما كبيرا في كتاباته لفترة القرن التاسع عشر وللحركة التوسعية باتجاه ألصحراء فكتابه **"الفرنسيون في الصحراء"**

Français dans le dèsert، كان يبرز هذا الجانب من اهتماماته وقد أفادنا كثيرا في إبراز أهم المحطات في ثورة محمد ابن عبد الله خصوصا الجانب العسكري.

أما **مونجان "Mangin"** في كتابه تاريخ الأغواط **Notes sur L'Histoire de Laghouat**. فقد تحدث بصفة شاملة عن تاريخ الأغواط، وفي سياقها تعرض للحديث عن محمد ابن عبد الله ومواصفاته الشخصية، وأهم تحركات الثوار.

أما بالنسبة للدراسات الأخرى فيأتي في مقدمتها كتابات **يحي بوعزيز** والتي جلها حول المقاومة الجزائرية كان أهمها كتابه **"كفاح الجزائر من خلال الوثائق "** **وكذلك كتاب "ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"** واللذان أفادانا كثيرا حول نسب محمد بن عبد الله وتفاصيل الثورة خصوصا في البدايات الأولى.

بعدها تأتي دراسات **لمياسي إبراهيم** أبرزها كتابه **"الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1844_1934م)"** والذي تناول فيه بالتفصيل للمخططات الاستعمارية نحو الصحراء تعرض من خلالها لاحتلال الفرنسيين للأغواط ومواجهتهم لمحمد ابن عبد الله.

وتم استعمال كذلك مقالات احتوت مادة تاريخية هامة حول جوانب من موضوعنا كان أهمها:

بالمجلة الإفريقية: مقال **لشارل فيرو** بعنوان **بني جلاب سلاطين توقرت Les ben Djellab soltanes de Touggourt** أين تطرق فيه لتاريخ ورقلة، ومواجهة سي بوبكر بن حمزة لمحمد بن عبد الله وإلقاء القبض عليه. كما شملت على بعض التقارير أهمها تقرير الضابط **مارميه "Marmier"** الذي أعطى لنا معلومات حول معركة مقارين بكل تفاصيلها.

وكذلك **مجلة الجمعية الجغرافية والآثار لوهران:** نجد مقالة **لماجور ديمي" Major Demaght"** والذي أورد فيه دراسة شاملة على منطقة ونفوذ قبائلها.

أما **بمجلة الأصالة:** نجد مقالة **ليحي بوعزيز** حول **اهتمام الفرنسي بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من القوافل في غزوها** والتي أورد لنا فيها نماذج عن الدراسات حول الصحراء

أما الفصول فتجدر الإشارة إلى أن تقسيمها وضع على أساس تطور مراحل الثورة. فجاء الفصل الأول المعنون ب: مسار حياة الشريف محمد ابن عبد الله قبل الثورة، نتناوله في ثلاث مباحث كل مبحث نعالج فيه مرحلة من مراحل حياته، بدءا بنسبه ومولده، يليها المبحث الثاني سيكون حول علاقة بن عبد الله مع الإدارة الفرنسية وموقفه من الأمير عبد القادر، ثم يتبع بمبحث سنعالج فيه رحلتة إلى مكة ولقاءه مع شيخ الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي

والفصل الثاني سنعالج مرحلة القوة والتوسع (1850_1852م)، في ثلاث مباحث، الأول سنبرز فيه كيفية تعيين محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة، ودوره في التحضير للمقاومة من خلال تعبئة القبائل ودفعها للجهاد، يليها المبحث الثاني والذي سنتناول فيه توسعه نحو الأغواط بهدف نشر نفوذ الثورة وإخراجها من النطاق الجغرافي الضيق، مع عرض أهم الإستراتيجيات التي اعتمدها بن عبد الله في نضاله.أما المبحث الثالث فسنشير فيه إلى وحشية المستعمر الفرنسي وممارساته التعسفية على سكان الأغواط بعد افتكاكها من يد محمد بن عبد الله الذي تراجع جنوبا. أما الفصل الأخير فجاء بعنوان: مرحلة الضعف والتراجع ونهاية الثورة، وبدوره قسمناه إلى أربعة مباحث فالأول سنوضح فيه تراجع محمد بن عبد الله إلى ورقلة ثم توقرت، وأهم العمليات العسكرية التي خاضها ضد الفرنسيين ثم انسحابه إلى تونس، والمبحث الثاني سنحاول إبراز نشاطه في تونس من خلال الفترة التي قضاها فيها، ودور الفرنسيين في ترسيخ الاحتلال في المنطقة مستغلين ضعفه غيابه، أما المبحث الثالث فسنشرح فيه دور بوبكر بن حمزة ولد سيدي الشيخ

في إلقاء القبض عليه ونهاية ثورته، أما المبحث الرابع فسنخصصه كملخص عن حياة ونشاط بن عبد الله بعد نهاية الثورة، وأهم المحطات التي قصدها بهدف تجديد نشاطه النضالي.

بعدها أنهينا البحث بخاتمة. عبارة عن استنتاجات لأهم المميزات والخصائص التي ميزت هذه الثورة، وأهم النقاط السلبية التي كانت سببا في القضاء عليها.

تعتبر الصحراء الجزائرية جزءا من الصحراء الإفريقية الكبرى فالإقليم الصحراوي الجزائري يمتد من مرتفعات أطلس الصحراء شمالا، حتى قلب الصحراء الإفريقية جنوبا[1]، وبين تونس وليبيا شرقا والنيجر وهضبة تادميت، أما غربا فنجد كل من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غربا وجنوبا[2] .

وقد تعاقبت على الصحراء الجزائرية أمم عديدة منذ العصور الحجرية إلى الفتح الإسلامي منهم الأمازيغ السكان الأصليون والفينيقيون، وإن كانوا لم يتوغلوا إلا قليلا، ثم الرومان والروم البيزنطيين الذين شيدوا قلاعا وحصونا في تخوم الصحراء، وقد كان للعرب الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية خلال الفتح الاسلامي وبعده، الأثر الكبير في تعمير إفريقيا عامة والمناطق الصحراوية خاصة وقد استطاع العرب أن ينصهروا مع السكان الأصليين، مكونين بذلك أمة واحدة، يرجع الفضل في تماسكها وتآخيها إلى الدين الإسلامي[3].

يتميز سكان الجنوب الجزائري بمميزات خاصة أهمها أنه مجتمع قبلي قائم على نظام العشائر والقبائل أغلبه بدو رحل يتوزعون في مختلف الواحات والقصور الصحراوية أهمها: ورقلة، تماسين، وادي ريغ، الزيبان، وادي سوف الوطاية، الحضنة ... إلخ[4].أما بالنسبة للطبيعة الجغرافية للصحراء فقد ميزها التنوع بين المرتفعات والهضاب وبين الأحواض المنخفضة والجبال المحدبة

[1]- حسان جاد الرب، جغرافية العالم العربي ، مكتبة ومطبعة الغد ،دط, القاهرة ، د س . ص 252 .

[2]- محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم ، دار الهدى ، د ط ، الجزائر ، د س . ص 12

[3]- إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2،الجزائر 2007 ، ص 93

[4]- أحميدة عميراوي، زاوية سليم ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844 – 1916 م)، دار الهدى، د ط، الجزائر، 2009 ،ص 09 .

أهمها: حمادة الدرعة في أقصى جنوب غرب الجزائر، وحمادة تازفورت[1]، وأهم هضبة في الجزائر هي هضبة تادميت في وسط الصحراء الجزائرية[2]. أما السهول الرملية فتحتل مساحات واسعة من الصحراء وتتمثل في العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، كما تتمثل في تضاريس الرق[3].

أما الغطاء النباتي المنتشر بالصحراء، فقد ارتبط بطابع المناخ الذي يسودها وهو مناخ قاري جاف ذو مدى حراري فصلي يتميز بجفافه، وحرارته المرتفعة، الأمر الذي اثر على الغطاء النباتي وجعله ضئيلا. فهو عبارة عن نباتات قصيرة الطول، تتحمل الجفاف والحرارة منها: الحلفاء، الدرين، والديس[4]، إضافة إلى توفر غابات النخيل على ضفاف الواحات التي تعتمد على المياه الجوفية.

ونظرا للأهمية الكبرى للصحراء الجزائرية، فقد كانت محط أنظار الأتراك العثمانيين منذ دخولهم للجزائر سنة 1520م، وتوليهم مقاليد السلطة فيها فقد كان هناك تعامل خاص بين المجتمع الصحراوي والسلطة الحاكمة فقد كانت سلطة الباي[5] خارج الأوطان معترف بها من قبل شيوخ القبائل الكبرى وأحلافها في مقابل مساندة الباي هذه القبائل للحفاظ على تلك السلطة الفردية أوالجماعية .

---

[1]- **الحمادة** :هي سهول تغطيها صخور جيرية ممتدة على شكل صفحات طبقية بنظر: حسان جاد الرب ،المرجع السابق ،ص254 .

[2]- **الرق :** مناطق واسعة مستوية السطح تغطيها رمال خشنة، مالحة للحركة تشكل مسار العديد من الطرق الصحراوية ، بنظر : عبد القادر حليمي ،**جغرافية الجزائر " طبيعية ، إقتصادية وبشرية "**، ط 1 ، الجزائر، 1968 م. ص 56 .

[3]- حسان جاد الرب، المرجع السابق ، ص 253 .

[4]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق ، ص 56 .

[5]- **الباي** : لقب وظيفي من العهد العثماني، استحدث هذا اللقب في القرن 16 م، أيام سنان باشا تلقب به الحكام العثمانيون التونسيون بنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت ، 1996 م، ص 68.

ولهذا فقد حضيت هذه القبائل بنوع من الاستثناءات، فلم يكن من أولويات السلطة العثمانية، فرض الضرائب كما هو الشأن في المناطق التلية بل كانت تهدف إلى تحويل عدد منها إلى قبائل مخزنية[1]، أو إجبارها على الأقل على دفع ضريبة رمزية تعبيرا عن ولاءها وتبعيتها[2] .

تميزت قبائل منطقة الجنوب أو البعض منها بقوة نفوذها على الصحراء وهذا من منطق النفوذ الديني، والانتماء إلى سلسلة الأشراف المر الذي صعب عليها الخضوع إلى سلطة واحدة تحد من حريتها، ومن أشهر هذه القبائل : قبيلة حميان[3]، وأولاد سيدي الشيخ[4] وبالتالي فإنها كانت تشبه على حد بعيد إمارات صغيرة[5]، لها قوانين وقضاء داخلي خاص بها، يتولى شيخها رئاستها. وكثيرا ما كانت السلطة العثمانية تضطر إلى شن حملات عسكرية ضدها، والتي غالبا ما تكون عواقبها وخيمة، حيث تقوم بمصادرة ثرواتها وتشريد أفرادها، وسجن وقتل زعمائها[6]، وقد كانت هذه هي الصورة التي تطبع علاقات تلك القبائل بالسلطة طيلة العهد العثماني. كما أن درجة إخضاع القبائل لطاعتها، كان مرهونا بمدى

---

[1]- **القبائل المخزنية :** هي قبائل إعتمدت عليها الإدارة العثمانية لجمع الضرائب ، وهي قبائل ذات طابع عسكري تحصل على إمتيازات مقابل خدماتها بنظر : توفيق دحماني ، النظام الضريبي بايليك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1779 _ 1830) مذكرة لنيل شهادة ماجستير، إشراف عمار بن خروف جامعة الجزائر، 2003 – 2004، ص 56

[2]- أرزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه إشراف:عمار بن خروف جامعة الجزائر 2005 – 2006 م ، ص 83 .

[3]- **حميان :** أصلها عربي تنتمي على حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى غبن زغبة الهلالي ، تميز نشاطها التجاري ورحلاتها تجاه التل ، ينظر : فاطمة حباش ، سي الأعلى بن بوكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896 م) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، إشراف : بن نعيمة عبد المجيد ، جامعة وهران ، 2004- 2005 ، ص 02 .

[4]- أرزقي شويتام ، المرجع السابق، ص 84 .

[5]- **إمارة** ، من المصطلحات الإدارية التي عمل بموجبها في الدولة افسلامية ويقصد بها الولاية على الإقليم ، بنظر: مصطفى عبد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 40 .

[6]- عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ، تر محمود على عامر، دار النهضة العربية ، ط 1 ، بيروت 1989 م، ص 580 .

قوة شخصية البايات، ويعد صالح باي[1] من أبرز الشخصيات التي تمكنت من اخضاع عدد كبير من القبائل الجنوبية، ووصل حتى توقرت بعد أن أخضع جل قبائل المنطقة. وبمجرد شعور هذه القبائل بضعف السلطة العثمانية، فإنها سرعان ما تعود إلى وضعها الأصلي، وتعلن تمردها، فترغم البايات على استعمال القوة ضدها في كل مرة، واجبارها على دفع الضريبة، ومثال على ذلك الحملة التركية التي وجهت إلى تقرت وورقلة سنة 1552 م بقيادة صالح رايس[2]، بهدف إخضاعها .

وقد أرغمت الظروف المادية القاهرة لبعض القبائل الخضوع للسلطة العثمانية[3] بالرغم من رفضها لها، خاصة تلك التي كانت تقوم بحركة تجارية نحو التل، من أجل التبادل التجاري وللحصول على الحبوب، ولهذا فإنها تجد نفسها في تعامل مباشر مع السلطة العثمانية، ومجبرة على الرضوخ لها وتلبية مطالبها وشروطها، وهذا ما حصل مع قبائل: الأحرار، والمهايا والبرانس، وبني مناد وغيرها[4].

وإن تمكن السلطة العثمانية من السيطرة على بعض القبائل التي عرفت بنفوذها ما كان إلا نتيجة لعوامل داخلية عرفتها هذه القبائل أهمها: عدم تمكن بعض الزعامات المحلية من تأسيس إمارة مستقلة عن التبعية العثمانية، بسبب السياسة التي اتبعتها السلطة في تعاملها مع هذه الزعامات، ونقصد هنا الامتيازات التي منحتها لها من أجل ضمان تبعيتها دائما، وكذا الانقسامات والصراعات

[1]- **صالح باي** : حاكم بايليك الشرق من الفترة الممتدة (1771 م _1792 م) ، كانت حملته في سنة 1788 م لإخضاع المناطق الصحراوية ينظر: عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص 599 .

[2]- **صالح رايس** : تولى أمور الإبالة في شهر جمادى 959 هـ / ماي 1552 م ، أول كاكم عربي يحكمن الجزائر بإسم الأتراك تصدى للقبائل الثائرة والمتمردة بالجنوب الجزائري ، ينظر : فاطة حباش ، المرجع السابق ص 29 .

[3]- صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي (1514 ، 1830 م)، دار هومة ، ط 2 ، الجزائر ،2007 ، ص 260 .

[4]- توفيق دحماني ، المرجع السابق ، ص 18 ، ص 59 .

الداخلية، التي حالت دون الاستقرار الذي يرتكز عليه بناء الإمارة، كما أن اختلاف مصالح هذه الزعامات قد ترتب عنه المحافظة على التوازن السياسي الذي كان في صالح السلطة العثمانية[1]، ولو بشكل متذبذب .

ومما ساهم أيضا في إستقرار العثمانيين هي التكتلات ذات الطابع الديني، فقد انتهج العثمانيون سياسة حماية الدين، لضمان وقوف تلك الفعاليات إلى جانبهم على غرار التيجانية ذات الأصل الجزائري بعين ماضي، والتي عرفت باعتدالها كما عرفت أيضا طرق أخرى مناهضة ومعارضة للسلطة العثمانية[2]، وعلى العموم فقد عرف سكان الصحراء الانتشار الواسع للطرق الصوفية، كان من أهمها: القادرية، السنوسية والتيجانية والطيبية[3]، والتي ستلعب دورا مهما في مقاومة الإستعمار الفرنسي، هذا المستعمر الذي أظهر نيته السيئة للسيطرة على الجزائر ، وعلى صحراءها خصوصا باعتبارها موقع إستراتيجي مهم للحفاظ على مصالحها في الشمال، إذن فإن اهتمام الفرنسيين بالجنوب الجزائري قد ظهر حتى قبل القرن التاسع عشر، وذلك من أجل التوغل بإفريقيا ويظهر لنا ذلك جليا من خلال الرحلات الاستكشافية التي قادها مدنيون وعسكريون، فقد قدم الكثير من المستكشفين أرواحهم في سبيل هذا الهدف[4]، ولهذا اعتمدت فرنسا في سياستها تجاه الصحراء على خطة أولية تمثلت في إرسال بعثات استكشافيه، فرحلة

[1]- أرزقي شويتام ، المرجع السابق ، ص 178 .

[2]- توفيق دحماني ، المرجع السابق ، ص 44 .

[3]- عبد القادر خليفي ، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة(1830 _1962 م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2010 م، ص 66 .

[4]- شهر زاد شلبي ، الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية ، مجلة كان التاريخية ، دار الناشري، عدد 11، 2011 م ص 84.

رونكوبي **(Renie – caibe)** التي كانت بين (1824 م و1828م). تعتبر من أولى الرحلات التي قام بها المغامرون الفرنسيون بالجنوب الجزائري[1] .

كما قام أوقيستان بيرنار ولاكورا، بدراسة الغزو الفرنسي للصحراء من البداية وإلى غاية القرن 20 م، كما أن الرحالة الأوربيون قد دونوا معلومات قيمة عن الجنوب الجزائري[2]. استطاع الضباط الفرنسيون الاستفادة منها في معرفة أحوال الصحراء وفي توجيه حملاتهم التوسعية بهذه المنطقة. ونذكر من ذلك، الضابط **لابي (Lapie)** الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية، فكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظفها الفرنسيون فيما بعد[3] .

ومن جهة أخرى وظف الأوربيون الجانب العلمي[4]، إذ إهتم **أفازاك (avazac)** بدراسة المنطقة وأنجز عام 1836 م، دراسة جغرافية عن الصحراء ضمنها بخريطة هامة وضع عليها المعالم الرئيسية ومنها طرق والمواصلات القديمة[5] وفي سنة 1837 م، أسست لجنة علمية فرنسية انكبت في دراستها على إمكانات الجزائر وكيفية إستثمارها، فتشكلت لجنة من عسكريين ومدنيين، منهم **كاريط (Carette)** والذي قدم مؤلفا هاما بعنوان :

(Recherche sur la géographie et le commerce de l'Afrique Méridionale). (البحث في جغرافية وتجارة إفريقيا القبلية) ، كما ألف الضابط

---

[1]- يحي بوعزيز، إهتمام الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى إستفادتهم من طرق القوافل في غزوها ، مجلة الأصالة وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر . ع .خ ، 1979 م ، ص 48 .

[2]- عبد القادر بويه ، السياسة الفرنسية لعزل الصحراء الجزائرية وردود فعل الثورة ، مجلة الثقافة الإسلامية. مديرية الثقافة الإسلامية ، العدد 2 2006 م ، ص 127 .

[3]- أحميدة عميراوي ، زاوية سليم ، المرجع السابق ، ص 31 .

[4]- اهتم الإنجليز كذلك بالصحراء،فأسسوا الجمعية الإفريقية عام 1788، بعد أن جمعوا معلومات عن الصحراء من خلال ما تركه اليونانيون والرومان والعرب،ولم تأت سنة 1835 م، حتى تمكن الأوربيون من التعرف على المنطقة الممتدة من الجزائر إلى مشارف الأغواط ونواحيها ، بنظر نفسه ص 30 .

[5] - Bidichon , projet d'une exploration politique commerciale et scientifique d'Alger a Tombouctou par le Sahara , 1849 , pp 14 _ 15 .

دوماس (Daumas) بتشجيع من الماريشال بيجو سنة 1845م، كتابا بعنوان **(Sahara Algérien)** أي الصحراء الجزائرية وهي دراسة إحصائية وتاريخية عن الجنوب القسنطيني[1].

أما بالنسبة للمشاريع التجارية، فقد كان السبق للجنرال **دوفو (Desvaux)** ، الذي أبهر السكان بما أقام لهم من مشاريع، منها حفر الآبار وشق الطرق، وفرض الأمن وكان دوفو على قناعة كبيرة بضرورة احتلال الصحراء، بهدف حماية الوجود الفرنسي في قسنطينة أو شمال البلاد ككل وكذلك بهدف استغلال خيراتها ومن هذا المنطلق سمحت لقافلتين تجاريتين فرنسيتين بالانطلاق من بسكرة إلى جنوبها يوم 13 جويلية 1844 م[2].وقد كان هدف هاتين القافلتين معرفة أسواق المدن الداخلية، فاتجهت الأولى إلى تقرت والثانية إلى عين صالح، وقد فتحت الباب لقوافل أخرى منها قافلة التاجر غارسان (Garcin) الذي زار بسكرة عام 1848، وبالطبع فقد وظفت السلطات الفرنسية كل هذه المعلومات في توسعها بالصحراء ونخص بالذكرعين ماضي في 22 افريل 1844م والأغواط في 25 أفريل 1844 م[3].

ولاعطاء هذا الاهتمام الاستكشافي والعلمي للصحراء صيغة سياسية قام المريشال **سولت (Soult)** سنة 1845م، بإرسال تقرير للملك لويس فليبفيه: " أن الصحراء الجزائرية، وبعبارة أخرى المناطق الواقعة جنوبي التل الجزائري يجب أن تشكل نوعا ثالثا من المناطق الإدارية ... "[4].

---

[1]- أحميدة عميراوي، زاوية سليم ، المرجع السابق ، ص 32 .

[2]- أحميدة عميراوي، من الملتقيات التاريخية الجزائرية ، دار الهدى ، ط 1 ، الجزائر 2007 ، ص 141 .

[3]- شهر زاد شلبي، المرجع السابق، ص 84 .

[4]- عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي ، مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والإجتماعي، ط 2 ، الجزائر 1985 م، ص 262 .

ومن خلال هذا التوغل في الصحراء عن طريق الحملات الجغرافية والعلمية والتجارية، وجد الفرنسيون أنفسهم في احتكاك مباشر مع زعامات القبائل، فقد حاولوا أن يجعلوا منهم وسيلة فعالة لمواصلة التوغل، فعملوا على تحويل رجالها إلى عملاء لهم، مثل بوعزيز بن قانة[1]، الذي عينته فرنسا شيخ العرب على الزيبان بداية من جانفي 1839 م[2]. وكان له الفضل الكبير في القضاء على ثورة أحمد باي[3]، وإستكمال التوسع، وكذلك قبيلة أولاد سيدي الشيخ لا سيما الفرع الشرقي، حيث عينت السلطات الفرنسية سيدي حمزة بن بوبكر[4] خليفة على الجنوب سنة 1850 م، كما عملت فرنسا على إنشاء مراكز عسكرية في المدن والتي تعتبر مناطق إستراتيجية هامة منها:(سعيدة، تيارت، ثنية الحد بوغار بسكرة) .

كما تبنى دوفو سياسة أخرى، وهي سياسة اللين مع بعض القبائل التي وقفت في طريق مخططاتهم، فحاول بدهائه ربط صلة الود معهم، فالتواق الذي منعوا الفرنسيين من الدخول والتوغل في عمق الصحراء، تعامل دوفو معهم بساسته اللينة، وعقد إتفاقا مع الشيخ الحاج إخنوخن، شيخ التوارق وكان ذلك في يوم 26 نوفمبر 1862 م، بمدينة غدامس حيث نص هذا العقد على نقاط أساسية أهمها:

---

[1]- **بوعزيز بن قانة** :من قبيلة عريقة في الجنوب القسنطيني، خال أحمد باي زعيم المقاومة في الشرق الجزائري تعامل مع الفرنسيين ضد إبن أخيه

[2]- إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837 _ 1934 م) ، دار هومة ،دط، الجزائر ، 2009 م ص 33 .

[3]- **أحمد باي :** إبن محمد الشريف وحفيد الباي أحمد القلي التركي ، أمه الحاجة غنية إبنة بن قانة ينظر : بوضرساية بوعزة ، الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم (1830 م _ 1848 م)، دار الحكمة، الجزائر 2010 ، ص 57 .

[4]- **سي حمزة :** ولد في حدود 1810 م،أمه تدعى ياقوت، توفي في 21 أوت 1861 م، يقال أنه قتل من طرف الفرنسيين لأنهم لم يثقوا به. ينظر، حباش فاطمة ، المرجع السابق ، ص 13 .

1- ربط صلة الود بين رجال السلطات الفرنسية ورؤساء فروع قبائل التوارق .

2- للتوارق الحرية في ممارسة التجارة مقابل دفع المكوس .

3- تتعهد زعامات التوارق بضمان مرور القوافل الفرنسية التجارية للصحراء دون مضايقة[1]

وهكذا يمكن القول أن فرنسا قد مارست كل الأساليب والطرق المشروعة والغير مشروعة السلمية منها والعسكرية، وذلك من أجل تحقيق أهدافها الرامية لمد النفوذ نحو الجنوب، بواسطة العامل الاقتصادي السياسي وحرصت على تجنب التوسع العسكري الباهض الثمن، كما أن الثورات الشعبية التي قامت في الشمال، كانت سببا في تحول المناطق الصحراوية والواحات إلى معاقل للثوار وهذا ما دفع بالمستعمر على التوغل في أعماق الصحراء وتولدت لديه قناعة كبيرة بضرورة إحتلالها، مثلما صرح به أوقستين (Augustin) حيث قال:" إن الهدف من التوسع في الصحراء، هو تحقيق لجملة من المكاسب أهمها حماية الوجود الفرنسي بقسنطينة من خطر الثائرين وفي مقدمتهم الأمير عبد القادر والحصول على موارد رزق من الصحراء والتي كانت مصدر ثراءا"[2] .

وأمام هذا الإصرار الفرنسي اصطدم مرة أخرى بإصرار جزائري مجسدا في الثورات والمقاومات بالجنوب والتي قادتها زعامات دينية وسياسية منها ثورة الشريف محمد بن عبد الله بالجنوب الجزائري.

---

[1]- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1999 ص ص 146 ، 147 .

[2]- أحميد عمراوي، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مطبوعات جامعة منتوري، دط، الجزائر 1999ص 98 .

المبحث الأول: المولد والنشأة

لم يترك محمد بن عبد الله أثرا مكتوبا لنؤرخ لحياته الشخصية، حتى أن اسمه الحقيقي ومكان ميلاده وتاريخه، وعائلته بقيت أمورا محل اختلاف حولها بالرغم من الأضواء الأخيرة المسلطة على هذه الشخصية. والمعروف لدينا حسب ما إتفقت حوله الكتابات التاريخية أنه من أصل متواضع لكنه يتمتع بمكانة دينية [1] من العائلة الدينية التي يذكر أنه ينتمي إليها.

فهو ينتسب حسب لضفار رشيد صاحب مقال " مدينة ورقلة " إلى الأسرة الشريفة يتسلل نسبها إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام، عن طريق الإمام حسن بن علي كرم الله وجهه، وفاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ويرتبط هذا النسب حتى يصل بالشيخ عبد القادر الجيلالي، لينحدر حتى يصل إلى جد أبيه العلامة محمد بن عيسى[2]، دفين مدينة تلمسان، أنجب محمد بن عيسى ولدين هما عبد القادر وأحمد الذي أنجب بدوره إبراهيم أبو الطيب الملقب بمحمد بن عبد الله[3]

أما مانجان (Mangin) في كتابه (Notes sur l'Histoir de Laghouat) تاريخ الأغواط فيقول أنه إبراهيم بن أبي فارس، كان مرابطا بسيطا من أولاد أحمد بن يوسف، من عرش الروسل (R'ocel)، يقطنون في خيام شمال تلمسان[4]، ويتفق معه أبو القاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية في جزءه الأول

---

[1]- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 5 ، عالم المعرفة، دط، الجزائر ،دس، ص 264.

[2]- **محمد بن عيسى**، رجل علم وإصلاح ولد بتلمسان 1668 م، وتوفي بالأغواط سنة 1737 م ، ينظر: إبراهيم مياسي المرجع السابق ص 134 .

[3]- رشيد لضفار ، مدينة ورقلة ، مجلة التراث المحلي الورقلي ، العدد 2 ، الجزائر ، 2013 ، ص 1 .

[4] - Mangin. Notes sur L'Histoire de Laghouat . Adolph jourdan . Alger . 1895 .p 63 .

أن اسمه الحقيقي إبراهيم بن أبي فارس عبد العزيز وكان يضاف له كلمة المدني لتوقيعه الرسمي، وذلك إشارة إلى المدينة المنورة[1].

تذهب روايات أخرى إلى أنه من عائلة أولاد سيدي الشيخ[2]، كما نجد أن يحي بوعزيز في كتابه ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20، يقول لنا عنه، أنه ينتمي إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف فرع قبيلة أهل الروسل، قرب عين تموشنت[3]. لجأ والده إبراهيم بن أحمد إلى النفطة[4]، أين أسس زاويته المشهورة والتي كانت منارة للعلم، ويعرف بإبراهيم الوالي أو إبراهيم الغوث الذي ولد سنة 1792 م وقد أسس زاويا كثيرة لنشر الطريقة القادرية[5]، التي كان من أتباعها منها: زاوية بنور بالشلالة (تيارت)، زاوية بلحول بوادي سيدي الخيَر (مستغانم)، زاوية الشط (ورقلة)، زاوية بني إبراهيم (ورقلة).

وقد كان لوالده العديد من الأتباع نذكر منهم: عرش الحرازلية، الأرباع بني الأغواط أولاد سيدي عطا الله ميتليلي، المنيعة، وكذلك كان له أتباع في ورقلة أهمهم : المخادمة ، بني ثور، بني سنيسي، أهل نقوسة وغيرهم

---

[1]- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية (1830 _ 1900)، الجزء الأول، القسم الأول، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص 357.

[2]- **عائلة أولاد سيدي الشيخ :** تتميز هذه العائلة بنفوذها المستقل منذ العهد العثماني ، فالمهام التي تولتها كانت في إطار قبائل المخزن بالإشراف على المناطق الداخلية ، الجبلية والصحراوية إلى جانب مهمة المراقبة ، وتميزت العلاقة بين الطرفين بشكل تبادلي ، يتمتع فيها الأتراك بالتصرف في ممتلكات الجزائر ، مقابل تمتع القبائل بكيان مستقل تمارس فيه حريتها ينظر : فاطمة حباش ، مرجع سابق ، ص 35 .

[3]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20، الجزء 1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط 2، الجزائر ص 150.

[4]- **نفطة :** واحة من واحات الجريد بالجنوب التونسي .

[5]- **القادرية :** ظهرت بالجزائر منذ القرن 15 م، إختلطت تعاليمها بالطريقة الشاذلية، وإرتبطت بمؤسسها سيدي عبد القادر الجيلالي، إمتازت بالدعوة للبعد الديني الإنساني والتسامح مع الديانات الأخرى ينظر : عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، إشراف : ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر ، 2003 ، 2004 م ، ص 51 .

وقصد نشر هذه الدعوة الإسلامية ، وتثمين أسسها عبر هذه الربوع قام إبراهيم بن أحمد والد محمد بن عبد الله بمصاهرة أهالي هذه المنطقة وخاصة المنحدرين من أصول عربية هلالية أمثال : الشعانبة والسواف، فمحمد بن عبد الله من أم شعانبية من أولاد فردية نواحي ورقلة[1]، ولعل هذا ما يفسر إنتشار ثورته من ورقلة قبل غيرها، حيث أنه وجد الدعم من أخواله الشعانبية، وقد أنجبت أمه أحد عشر ولدًا، لم تعرف لدينا أسمائهم ولا أدوارهم في الحياة.

أما عن تكوينه فقد تلقى محمد بن عبد الله تعليمه الأول بقبيلته، حيث حفظ القرآن الكريم ثم انتقل إلى تلمسان مع عائلته وهو في سن صغيرة[2] .

اشتهر هذا الأخير بين الناس بالتقوى والورع الديني، حيث كان يقضي أغلب أوقاته بتعبد بضريح سيدي بومدين، وعليه يمكن القول أنه وإلى غاية 1840 لم يتمتع بشهرة سياسية بين الناس لعدم توليه أي منصب من هذا النوع حيث اشتغل في مهنة التدريس فكان معلما بزاوية سيدي يعقوب التابعة لأولاد سيدي الشيخ، يلقن الأطفال القرآن الكريم[3]. أما عن حياته الخاصة، وما يتعلق بزواجه، فلم تشر المصادر التاريخية إليها مما تعذر علينا تحديدها، حيث أن أغلبها أشارت فقط إلى المناطق التي تردد عليها بعد الثورة بين الجنوب الجزائري وتونس.

---

[1]- رشيد لضفار، المرجع السابق، ص 1 .

[2] - Mangin .Op.Cit. 70.

[3] - Trumelet . Les Français dans Le Désert . Challamelainé .Paris .2 éme Edition .1885.p 37 .

المبحث الثاني: مهامه في الإدارة الفرنسية وموقفه من مقاومة الأمير عبد القادر

توافق ظهور محمد بن عبد الله في مسرح الأحداث السياسية مع فترة الصراع المرير على تلمسان الذي عرفه الأمير عبد القادر مع جنرالات فرنسا المتعاقبة في إطار المقاومة الوطنية ابتداءا من سنة 1834م وإلى غاية احتلالها النهائي من طرف الجنرال بيجو[1] سنة 1841 م، فقد مثلت هذه المدينة القلب النابض لثورات الغرب الجزائري، وإن السيطرة عليها من طرف فرنسا يعني تثبيت الاحتلال بالأراضي الحدودية الجزائرية المغربية.

يذكر لنا مونجان أن أول دور لمحمد بن عبد الله، كان مشاركته لمصطفى الآغا[2] في حروبه مع الأمير ضد الفرنسيين، وعند خروج هذا الأخير عن طاعة الأمير تبعه محمد بن عبد الله في ذلك[3]، خصوصا وأن الأمير عبد القادر قد أصبح في حالة الضعف والتراجع وإنتقل إلى وضعية الدفاع، فقد أمر الجنرال بيجو العقيد لاموريسيار(Lamoricière) بملاحقته، بعدما قام بتنظيم

---

[1]- **بيجو** : توماس بيجو من نبلاء بيكورني " فرنسا" ، ولد بمدينة ليمونح سنة 1784 م وتوفي سنة 1849 بوباء الكوليرا عين سنة 1836 قائد لمنطقة وهران ، خاض ضد الأمير معارك كبرى ، أبرم معه معاهدة تافنة 1837 م ، عين والي عام للجزائر سنة 1840 م ينظر : الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية، دار الأمة، دط، الجزائر، 2010 ، ص 115 .

[2]- **مصطفى الآغا :** قائد وشيخ قبيلة الدوايرو والزمالة ، ينتسب إلى أولاد ابن عفان من محال أولاد بوبكر كان لخيانته أشد الوقع على مقاومة الأمير وقد إستعد على رأس قوات عظيمة لضرب الأمير مع حاكم تلمسان سي حمادي ، ينظر : بسام العسيلي، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس ، طبعة خاصة، بيروت ، 2010 ، ص 143 . كذلك : إتبن برونو، الأمير عبد القادر الجزائري، تر. ميشيل خوري، دار عطية للنشر، ط ١ ، بيروت، 1998 ، ص 199 .

[3] - Mangin . Op . Cit . p 71 .

المكاتب العربية[1] وأمر الجنرال بيدو (Bedeau) بالتحرك وإخضاع قبائل غرب المقاطعة الغربية وفي ظرف قصير من الزمن، إستطاع الفرنسيون خلاله من إحتلال معسكر وذلك في 3 أكتوبر، واستطاع لافاسور (Lavasseur) أحد مساعدي لاموريسيار من دخول القيطنة[2]، فأعلنت قبائل كثيرة خضوعها، ونادت بالسيد محمد بن عبد الله الولد الشيخ مرابطا عليها[3]. ولما وافقت السلطات الفرنسية على هذا الاختيار .اجتمع لاموريسيار بالمرابط الجديد، بتاريخ 27 أكتوبر حسب (أديب حرب) وتدارس معه المصالح المشتركة، وطريقة ملاحقة الأمير والقبض عليه، وخلال شهر نوفمبر قام محمد بن عبد الله بمحاولات كثيرة لبسط النفوذ الفرنسي في منطقته، فقابل بعض شيوخ القبائل، واقنعهم بالانضمام إلى حركته فأيدوه، وأعلنوا أن الأمير سبب خراب ديارهم، وشقاء عائلاتهم[4] وفي رسالة له للملك الفرنسي، يذكر له فيها أنه يضع نفسه تحت إمرته وأن الناس قد دعوه للحرب ضد الأمير وذكر منهم جماعة: أولاد براهيم ، أولاد عثمان أولاد أرياح، النجوع ... وغيرهم، ويطلب منه الدعم من أجل الأخذ بالثأر من الأمير الذي شتت شملهم، وأدخل الهلاك إلى ديارهم[5] .

ويفصل لنا الآغا بن عودة المزاري لقاء محمد بن عبد الله مع مصطفى الآغا والكولونيل تمبور (Tempour) فيقول : " ...فقد كتب مصطفى الآغا إلى محمد

---

[1]- **المكاتب العربية** : يعود تأسيس المكاتب العربية إلى قرار 1 فيفري 1844 م ، لتكون واسطة بين الإدارة الفرنسية والأهالي يرأسه ضابط فرنسي إلى جانبه موظفين مترجمين حارس ، كاتب ، قاضي ، وجابي ضرائب ، يخضع المكتب إلى إدارة مركزية على مستوى العاصمة تابعة للحاكم العام ، ينظر : حباش فاطمة ، المرجع السابق ، ص 34 .

[2]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص201

[3]- أديب حرب،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808 _ 1847 م)،ج 2 ، دار الرائد للكتاب ط3، الجزائر، 2005 ، ص 323

[4]- نفسه، ص 324 .

[5] - Esquer , unrival d'abd – el – kader , RA ; N=°68 .1927.P 437 .

ابن عبد الله أنه إذا خرجت المحال فإننا نجتمع بها في سبعة شيوخ[1] ..." ، فخرج فعلا من محلته من وهران في 3 ديسمبر برفقة القائد تمبور، ومروا بحمام أبي حجر، (بوحجر)، ووصل ليلا على محل الإجتماع، ولكن البوحميدي هجم عليهم وأبطلهم من تلك الضيافة ثم خرجوا مرة أخرى لملاقاة بن عبد الله في الثامن من ديسمبر بقرب عين البريج، ويقول أن بن عبد الله أتاهم بصحبته مولاي الشيخ وأن "...الكولونيل أتى وأهدى بن عبد الله هدية جليلة، وجعله في حماية الدولة قولة جميلة، وعين له خرجا سنويا يأخذه مفضوضا مشاهدة قدره ثمانية عشر ألف فرنك وبما وقع بينهما الاتفاق حصل عليه الافتراق..."[2].

ولم تختلف المصادر الأجنبية حول حدوث هذا اللقاء أو الشخصيات التي جمعها هذا اللقاء، فقد أشار كل من ترواملي ومونجان على أن هذا اللقاء قد جمع كل من محمد بن عبد الله، ومولاي الشيخ، ومصطفى بن إسماعيل والعقيد تمبور القائد الأعلى لوهران، وإتفقوا على ضرورة تقديم محمد بن عبد الله كسلطان جديد للجنرال بيجو، ويظهر الاختلاف لديهما في تاريخ حصول هذا اللقاء فترواملي أكد أنه كان في 15 ديسمبر 1841 م[3]، ومونجان يذكر أنه كان في 23 من نفس الشهر[4]، والمهم لدينا هنا أن هذا اللقاء يؤكد تعاون محمد بن عبد الله مع الفرنسيين ضد الأمير، وتوج هذا اللقاء بترحيب من بيجو الذي منحه لقب السلطان وأخذه

---

[1]- بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة، يحي بوعزيز، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، بيروت، 1990 ، ص ص 195 ، 196

[2]- نفسه. ص196

[3] - Trumelet . Op. Cit . p 38 .

[4] - Mangin. Op . Cit . p 66 .

معه إلى تلمسان أين ساهم برفع الحصار على المدينة[1]، بعدها عمل بيجو على ملاحقة البوحميدي خليفة الأمير في تلمسان والقضاء على نفوذه، فإحتل عاصمة هذه الناحية، وفي 9 فيفري 1842 إحتل قلعة سبدو[2]، وقبل عودته على العاصمة إستدعى بيدو[3]، من مستغانم وعينه مسؤولا عسكريا في هذه المقاطعة، وما إن وصل بيدو إلى مكان عمله حتى وجد نفسه في موقف الهجوم، فقد كانت قوات البوحميدي تفتقر إلى العتاد. فخرج بيدو بتاريخ 6 مارس من تلمسان مع قوة تتألف من 2500 جندي فرنسي وقوة أهلية بقيادة كل من محمد بن عبد الله ومصطفى بن إسماعيل وفرسان من بني عامر[4] وإشتركوا في مطاردتهم للأمير المتواجد بجبال التزارة[5]، وعندما علموا أن الأمير سار قاصدا نواحي معسكر لحقت بهم القوات التي كانت في قسنطينة ووهران لتنظم إليهم فأدركوا الأمير وهو يعاني قلة العدة والذخيرة. فلم يجد الأمير بدا من ملاقاتهم فاجتمع الفريقان واشتعلت نار الحرب ولتفادى أكثر الأضرار تراجع الأمير إلى الصحراء واستولى عدوه على معسكره[6]، وكان ذلك في ماي 1842م، و قد استطاع بيدو

---

[1] - Esquer . Op . Cit . p . 438 .

[2]- أديب حرب ، المرجع السابق، ص 326 .

[3]- بيدو (Marie Alphons bedeau) ، جنرال فرنسي ولد في فيرتو (Vertou) سنة 1804 وتوفي سنة 1863م ينظر ، بسام العسيلي ، المرجع السابق ، ص 141 .

[4]- **بني عامر:** من أقوى القبائل في منطقة وهران تمتلك أراضي واسعة ، يشتهر رجالها بزراعة الحبوب وتربية جميع انواع الحيوانات أخلصت للأمير وحاربت الفرنسيين ومن أبرز زعمائها محمد الولد الطامي ، ينظر : عائشة بن ساعد، المرجع السابق ، ص 234 .

[5] - Esques .Op . Cit . p 438 .

[6]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،جزء1 ،مطبعة تجارية عرزوزي و جاويش ، الاسكندرية ، 1903 ، ص 321.

من إخضاع قبائل تازة بالقرب من ندرومة في أوائل ماي من نفس السنة وعند عودته إلى تلمسان إستقبلته قبائل سهيلة ومسيرة بالترحاب، وهنا نظم القائد الفرنسي مراكز عسكرية بالمنطقة، وعمل على شق بعض الطرق، فأتاح بعمله هذا عودة الحياة إلى المزارع، وتعزيز النشاط التجاري في أسواق تلمسان[1] .

ونظرا لتزايد النفوذ الروحي و السمعة التي أصبح يتمتع بها محمد بن عبد الله بين أهالي المنطقة، أصبحت الشكوك تدور من حوله، فخشي منه الفرنسيون خصوصا بعد إنتزاع لقب السلطان منه والذي لم يدم طويلا، فسرعان ما بدأوا لا يطمئنون في سلوكه معهم[2]، فقد قال ترواملي :" أنا معكم إلى أن يحكم الله باقترافنا..."، وهكذا بدأوا بإزعاجه وإتهامه بالتقصير والعجز[3]، كما طلب منه حاكم تلمسان الجنرال بيدوا أن يقسم على مصحف لتأكيد إخلاصه وولاءه لفرنسا وطلب منه أن يترجم على عدد من الموتى الذين قتلوا خلال المعارك قبيل إحتلال المدينة، وذلك خلال حفل دفنهم، لكنه رفض[4]. يقول مونجان عنه أنه كان عليه أن أن يعيش في سلام من خلال المعاملة والمكانة التي منحت له لكنه بدلا عن ذلك واصل إزعاجه بتفكيره الفلسفي والإستقلالي[5] .

وسرعان ما بدأت مواقف محمد بن عبد الله تتغير، حيث عمل على جمع أنصاره وأتباعه لوضع خطة الخروج والعمل للمستقبل، وحتى لا يثير الشكوك من حوله إضطرا إلى الإشتراك في معارك تازة مع الفرنسيين ضد الأمير. فكثيرا

---

[1]- أديب حرب، المرجع السابق، ص 329.

[2] - Tumelet.Op.Cit.p39

[3]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 356.

[4] - Ibid.p 40.

[5] - Mangin.Op.Cit.p72.

ما كان محمد بن عبد الله يستتر في ثياب التعبد[1]، ويداوم على العتكاف في ضريح ومسجد سيدي أبي مدين بن شعيب يحي العباد، وبقي بعدها مدة سنتين خامل الذكر، يبذل جهدا في توسيع علاقاته مع شيوخ بعض القبائل لضمان تأييدهم في حال إعلانه لحركة ثورية ضد الفرنسيين، وفي إحدى الأيام من سنة 1844 إستيقظ الفرنسيون صباحا ليجدوا كتابة على جدران المدينة بتلمسان "محمد بن عبد الله ناصر الدين أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين"، و لعل هذا هو السبب الذي جعل السلطات الفرنسية تطلب منه، أوتنصحه بأن يذهب للحج للتخلص منه فاعتبره محمد بن عبد الله طردا بطريقة مهذبة فغادر تلمسان بصحبة عائلته وكاتبه سي محمد بن على واتجه إلى وهران حيث أقل باخرة من المرسى الكبير[2]، أما عن تاريخ مغادرته الجزائر فهو غير مضبوط، ولكن بعض المصادر تشير إلى أنه كان سنة 1845م، تزامنا مع انتفاضة الظهرة الشهيرة بقيادة الشريف بومعزة[3].

المبحث الثالث: رحلتة إلى الحج و معالم تبلور حسه النضالي

لم يتوقع محمد بن عبد الله المعاملة السيئة من طرف الفرنسيين، ولهذا فإنه حمل الحقد في قلبه، والكراهية للفرنسيين بعد خروجه من الجزائر[4]، آخذا صورة في ذهنه غير تلك التي عهدها من الفرنسيين قبلا.

---

[1]- رشيد لضفار ، المرجع السابق ، ص 2.

[2]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 152.

[3]- سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق ، ص 357.

[4] - Tumelet.Op.Cit.p33

أما عن طريقه نحو الحج، فإننا لا نملك معلومات عن الأماكن التي مر بها ولا الأشخاص الذين جلس إليهم قبل وصوله إلى مكة[1]، و لكن المعروف لدينا أن محطاته كانت في الإسكندرية، ومن هناك إلى المدينة ومكة[2]، وأثناء إقامته بمكة إلتقى بالشيخ محمد بن على السنوسي [3]، والذي تتلمذ على يده، ولعله تتلمذ أيضا على أيدي آخرين، فهو يذكر في رسالته بعد رجوعه إلى الجزائر أنه درس في الاسكندرية والحجاز، وقد يكون توقف بالأزهر أيضا إذ قلما يذهب المتعلمون إلى مصر دون التمدرس والتتلمذ بالأزهر[4].

وطد محمد بن عبد الله خلال إقامته بمكة، صلاته بمحمد بن علي السنوسي الذي طرد من الجزائر عام 1849م، فأنشأ معا زاوية دينية في جبل قبيس في الحجاز، جعلا منها ملجأ لكل الجزائريين أمثالهما الذين طردوا من

---

[1]- أبو االقاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 358

[2]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 152.

[3]- **محمد بن على السنوسي:** هو الشيخ محمد بن على السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة ، بن حم بن يوسف ، بن عبد الله، بن خطاب بن على بن يحي بن راشد بن أحمد المرابط إبن منداس بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين يوسف بن حسن بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثني بن الحسن السيط بن على بن ابي طالب الهاشمي القرشي ، ولد 1202هـ يوم الاثنين الموافق لثاني عشر ربيع الاول ، و لذلك سماه والده محمد ، ولد بضاحية "ميشا" الواقعة ضفة وادي شلف الواسطة التابعة لبلده مستغانم بالجزائر ، تولت عمته فاطمة ترتبينه وتنشئته بعد وفاة والده بعد عامين من ولادته ، حصل علومه الاولى من شيوخ مستغانم حيث حفظ القرآن الكريم مع القرارات السبع ثم تولاه اين عمه الشيخ محمد السنوسي بعد وفاة عمته بالطاعون. قصد العديد من المدن أهمها فاس بالمغرب الاقصى ، أصبح مدرسا فيها بالجامع الكبير و نال المشيخة الأولى به ، ثم إنتقل إلى المشرق وأقام بمكة ، توفي في 1859م عن عمر يناهز 80 سنة . ينظر : محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين و دولة ، دار الفكر ، ط1 ، د بلد ، 1948 ، ص 14، ومحمد محمد الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا الامام محمد بن على السنوسي، ج 1 ، دار البيارق ط1 ، بيروت ، 1999 ص ص 23-25. وعبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج5 ، دار الامة ، الجزائر ، 2010 ، ص ص 123-186.

[4]- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 312

وطنهم، فكانوا يلتقون فيها و ذلك لأداء واجباتهم الدينية، وللتدارس في المشاكل السياسية التي يعيشها العالم الاسلامي عامة ووطنهم الجزائر خاصة[1] .

ومن هنا أخذ الحس النضالي الثوري يتبلور لدى محمد بن عبد الله بتأثير من شيخه محمد بن على السنوسي، خصوصا بعد فتوى الجهاد التي جاء بها ليون روش[2]، فأخذ كل من محمد بن عبد الله ورفيقه السنوسي يراسلان رفاقهما وأصدقائهما بالجزائر وتونس وطرابلس، يوجهان مبعوثين خاصين لنشر مبادئ طريقهما الدينية ظاهريا، ولبث أفكارهما السياسية، وحث الناس على المقاومة والثورة باطنيا[3] .

ويظهر البعد السياسي عند محمد بن على السنوسي قي تعامله مع الدولة العثمانية حيث أنه رأى في الدولة العثمانية دولة الخلافة، فعمل على توثيق

وتوطيد علاقته الدينية بحكامها، فتولدت علاقة وثيقة ومتينة بين الطرفين أساسها الإحترام والتقدير[4]، وعلى هذا الأساس فإن الأفكار النضالية الثورية عند محمد بن عبد الله قد وجدت الرعاية والدعم من طرف الدولة العثمانية وممثليها في الحجاز، وإن الحكومة العثمانية قد وجدت في محمد بن علي السنوسي وحركته السبيل لتثبيت أقدامها في الوطن العربي، وذلك من خلال التأثير الكبير

---

[1]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائرمن خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986م ، ص 116.

[2]- **فتوى الجهاد :** تولى هذه المهمة الجاسوس ليون روش الذي أظهر الاسلام و جاء إلى الحجاز ليستفي علماءها ، بإسم بيجو في واجب المسلمين إذا تغلب عليهم النصاري ، هل يستمرون في حربهم ؟ وخروجهم عنهم ؟ أو يتوقفون عن القتال و يرضون بالامر الواقع حفاظا على أنفسهم وحقنا لدمائهم ؟ وقد طرحت هذه النازلة أمام الشيخ السنوسي الذي كان موقفه ضرورة استمرار الجهاد ، وعدم التعايش مع النصارى ينظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية(1830_1900) ، ج1 ، ق1 ،المرجع السابق ، ص 356.

[3]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر خلال القرنين 19 و20، المرجع السابق ، ص 151.

[4]- محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص 62.

للشيخ السنوسي على الناس، خصوصا في المرحلة الحساسة التي عرفت زعزعة النظام العثماني في دول شبيه الجزيرة العربية و شمال إفريقيا[1].

فقد كانت تغرقه بالهدايا، ورسائل التهنئة بمناسبة تأسيس الزواية البيضاء بالجبل الاخضر (ليبيا)، كما أنه أرسل مندوب عن الحركة التونسية إلى اسطنبول فاستقبله السلطان عبد المجيد بحفاوة[2]، وما يؤكد لنا قوة العلاقة بين هذه المؤسسة الدينية والخلافة الإسلامية هي وثيقة[3] إعلان السلطان العثماني الحرب ضد فرنسا وبريطانيا وتكليف السيد أحمد الشريف السنوسي بإفريقيا بهذه المهمة[4]. ومن هذا المنطلق نفسر الدعم العثماني لمحمد بن عبد الله والسنوسي، فقد حصل اتفاق تعاون بين هذه الأطراف الثلاث في الحجاز بتاريخ غير معروف .

وفي أواخر سنة 1849م أخذ محمد بن عبد الله طريقه إلى طرابلس صحبة حكمها الجديد غرت باشا، وقد دخلها أوائل عام 1850م[5]، حسب رواية ترواملي أما شارل فيرو فيقول أن محمد بن عبد الله قد نزل في طرابلس ضيفا على أحمد عزت باشا نفسه والدفتر دار أمين أفندي خوجة، رفقة محمد بن علي السنوسي

---

[1]- محمد محمد البصلابي ، المرجع السابق ، ص 264.

[2]- نفسه ، ص 264.

[3]- هي وثيقة مكتوبة باللغة العربية ، جاء فيها الأمر بالجهاد في سبيل الله وقتال المشتركين لتخليص المسلمين من اجتياح الاوروبي الجديد ، ينظر: محمد الأمين بالغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق دار المدني، بالجزائر ، 2009 ص 373.

[4]- نفسه ، ص 362.

[5] - Trumelet.Op .Ccit.p44.

وعليه فإن قدوم محمد بن عبد الله رفقة أحمد عزت أو عدمه يبقى أمرا مختلف فيه[1] .

يذكر شارل فيرو في كتابه الحوليات الليبية عن أحمد عزت باشا أنه لم يكن سوى تركي متعصب، وكان في حاشيته رجل يمقت الفرنسيين مقتا شديدا وكان ذلك الرجل هو دفتر دار الأمين العام للمالية أمين أفندي ابن عثمان بن حمدان خوجة[2] فيقول عنهما أنه أعمامها تعصبهما وأحقادهما الشخصية ضد فرنسا[3]، ويتهم شارل فيرو هنا طرابلس بأنها تعمل على تنسيق مؤامرتها ضد الهيمنة الفرنسية في الجزائر، مع دسائسها ضد تونس أيضا ويدعم اتهامه هذا بإعطائه لمثال : عن إرسال طرابلس لمبعوثين سياسيين ودينيين لإيعاز الثورة في الجزائر، ولحث أهلها على الجهاد المقدس، إذ أنه ليس لحركات التمرد والاعتصام التي قام بها القبائليون الجزائريون في تلك الفترة بإقليم قسنطينة من محرض سوى هؤلاء المبعوثين، ولعله يقصد هنا ثورة محمد بن عبد الله .

ويعطينا مثالا آخر عن الفترة السابقة فيقول: انطلق من طرابلس الشريف "سرور"[4] الذي عمل على إثارة قضية واحة الزعاطشة متنكرا بشخصية دينية بسيطة، يجمع التبرعات للأراضي المقدسة[5] ظاهريا، ولإلهاب حماس الجهاد المقدس باطنيا.

---

[1] - Charles féraud, Le Sahara de Constantine .Alger .1887.pp.108.110 .

[2]- **حمدان خوجة :** ولد بمدينة الجزائر سنة 1189 هـ ، وتوفي سنة 1255 هـ ، من أشهر الجزائريين الذين ناضلوا بأقلامهم ضد الإحتلال الفرنسي . ينظر: شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تر محمد عبد الكريم الواقي،دط، جامعة قان يونس، بنغازي، 1994م، ص 469 .

[3]- لقد عزل عزت باشا وأمين أفند بضغط من الحكومة الفرنسية والجنرال بليسيه على الباب العالي، وكان ذلك سنة 1268 هـ ، وعوض بمصطفى نوري باشا ، ينظر: أحمد بك الأنصاري الطرابلسي ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، مكتبة الفرجاني ،دط، ليبيا ،دس، ص 361 .

[4]- يقال أن آل سرور ينحدرون في الأصل من أسرة مكة الشريفة ، ينظر : شارل فيرو ، المرجع السابق ، ص 361 .

[5]- نفسه ص 374 .

وعلى العموم فإن كل المصادر قد اتفقت على أن محمد بن عبد الله قد دخل طرابلس الغرب أوائل 1850 م، ومن هناك اتجه إلى سوف عبر غدامس وتقرت واستقر بزاوية الرويسات طوال سنة 1850 م، حيث عمد إلى مراقبة الأمور عن كثب، ودراسة الأوضاع عن قرب، والقيام بدراسة تحليلية للخريطة السياسية الراهنة. وكان رفيقه السنوسي قد استقر بطرابلس، وأخذ يراسله من هناك كما أنه عمل على مراسلات أخرى لخلق جبهات تؤيد حركة محمد بن عبد الله وتؤازره في عمله الثوري المرتقب، فكان من ضمن من راسلهم السنوسي زعيم المخادمة عبد الله بن خالد الذي طلب منه أن يقف إلى جانب محمد بن عبد الله، ويدعمه في عمله المقبل[1].

كما أنه أوجد له دعما آخر والمتمثل في الحاج أحمد التواتي وهو العضد الأيمن للشيخ السنوسي، والمقدم له على المنطقة الغربية، فقد كان الحاج التواتي يدعو إلى الجهاد ويجند الأتباع و يأمر بشراء الأسلحة والذخيرة[2].

كما أن الشيخ السنوسي قد كتب رسائل إلى أهل الطرق الصوفية والمؤيدين للطريقة السنوسية[3] في شتى أرجاء البلاد، يطلب منهم دعم الشريف محمد بن عبد الله الذي ثار في الصحراء الشرقية الجزائرية[4].

---

[1]- يحيى بوعزيز ،كفاح الجزائر من خلال الوثائق،المرجع السابق ،ص118

[2]- رابح لونيسي وآخرون،تاريخ الجزائر المعاصر،(1989،1830)،ج1 ،دارالمعرفة، الجزائر، 2010 ، ص 79

[3]- **الطريقة السنوسية** : طريقة صوفية تنتسب إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي ، تميزت بعدائها للإستعمار وسعيها إلى توحيد المسلمين ، كما أنها كانت خالية من بعض الممارسات التي تقع في حضرات بعض الطرق الأخرى ، ينظر : التليلي العجيلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881 _ 1939 م) ، مجلد 2 ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ،دط، تونس، 1992 م ، ص 55 .

[4]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص116

المبحث الأول: التحضيرات والعمليـــات العســـكرية الأولى في ورقلة (1850- 1851م)

يذكر لنا أبو القاسم سعد الله في كتابه " الحركة الوطنية " أنه لا تاريخ محدد لوصول محمد بن عبد الله إلى ورقلة واستقراره بزاوية الرويسات كما ذكرنا سابقا، فيعطي لنا ثلاثة احتمالات هي : سنة 1849 م، 1850م، 1851م ويرجح أبو القاسم أن التاريخ الأول 1849م هوالتاريخ الأصح ويستند في ترجيحه هذا على أحداث الزيبان التي وصل صداها إلى سوف والجريد[1]، وحتى طرابلس، وقد تكون هذه الأحداث هي التي شجعت السلطة العثمانية والحركة السنوسية على التعاون مع محمد بن عبد الله لتوسيع نطاق الثورة[2].

بينما يؤكد لنا يحي بوعزيز في كتابه " كفاح الجزائر" أن دخوله إلى ورقلة كان أوائل 1850 م، بعد التحضيرات المبدئية في طرابلس الغرب[3].

وعلى العموم فإن الجو العام في منطقة ورقلة كان يعرف صراعا شديدا في تلك الفترة، نتيجة لتكتل سكان المنطقة من بدو وحضر إلى كتلتين كتلة "الغرابة"الموالية لسلطنة ورقلة وتضم الشعانبة[4]، المخادمة، بني ثور، وبني

---

[1]- **الجريد** : منطقة بالجنوب التونسي تشمل على أربعة واحات : تورز، نفطة، الوديان والحمة، تمتد أراضي هذه الواحات بين شط غريس في الشمال وشط الجريد في الجنوب، وهي عبارة عن غور يكاد يكون متصلا ، يبدأ من خليج قابس وينتهي عند حدود الجزائر ، لذا يقصدها أغلب الثوار الجزائريين

[2]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائر(1830_1900م) ، المرجع السابق ، ص355

[3]- نفسه، ص 356

[4]- **الشعانبة** : هي من القبائل العربية البدوية إستوطنت بأحواز ورقلة من القرن السادس عشر ، وتعتبر ميتليلي المركز الأول لهم ، بعدها بدأو ينتشرون في مناطق مختلفة مشكلين عشائر أهمها : شعانبة هب الريح ، شعانبة بوروبة ، شعانبة ميتليلي ، شعانبة قبالة، ينظر : حباش فاطمة ، المرجع السابق ، ص 32 . وينظر : عبد الحميد زوزو. محطات في تاريخ الجزائر ، دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة ، المجلد 7 ، ديوان المطبوعات الجامعية ن الجزائر ، ص 88

سنيسن، وكتلة " الشراقة " الموالية لبني بابية وتضم قبائل سعيد عتبة، وبني وجين[1].

وقد عرفت أسرة بن بابية صراعا داخليا مريرا، عندما قام أحمد يدعمه أولاد يوسف بالاستيلاء على الحكم، وإبعاد أبيه الحاج أحمد بن بابية[2]، فوقف أخواه أبو حفص والطيب بالتحالف مع فتناسة والرحبات والشعانبة ضده، وعملا على ارجاع والدهما إلى الحكم من جديد، وفي هذا الوقت بالذات تم في ورقلة خلع مولاي مسعود وتولية مولاي الطيب مكانه[3] .

وأمام هذا الوضع الجديد تحالف أولاد يوسف مع المخادمة، وشنوا هجوما على الرحبات والفتناسة، حلفاء الشعابنة وبني ثور[4]، وبعد صراع دام مدة من الزمن تمكنوا خلاله من قتل شيوخ بني ثور، بعدها توصلوا إلى عقد صلح بينهما لكن بعد أسبوعين انفصل المخادمة على أولاد يوسف وإنضموا إلى بني ثور والشعانبة، ولسبب أولآخر قامت الحرب بين المخادمة وبين بني ثور. تحالف على إثرها بني ثور مع أولاد يوسف ودخلوا في حرب ضد الرحبات والفتناسة حلفاء المخادمة، وأمام هذا الوضع المأساوي عجزت السلطات في نقوسة على عهد الحاج أحمد بن بابية في فرض السيطرتها على ورقلة، وانفلتت الأمور من يده[5]، فإتصل أحمد بن بابية في ربيع سنة 1849م، بالقيادة الفرنسية في تيارت

---

[1] - charles féraud . " Notes pour Servir à L'Histoire D'Ouargla " . R.A . N =° 64 . 1923 . P 390

[2]- **الحاج أحمد بن باية** : توفي أحمد بن باية في 19 جانفي 1851 م ، أثناء عودته من وهران التي قصدها في ديسمبر 1850، لتأدية الإمتثال ودفع الضريبة للقيادة .الفرنسية ، ينظر : عبد الحميد زوزو،.المرجع السابق. ص95

[3]- عبد الحميد زوزو، الوضع في منطقة ورقلة قبيل الإحتلال الفرنسي ، مجلة الأصالة ، المجلد16 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر ،2011م.ص 110

[4]- **بني ثور** : إحدى قبائل المخادمة ، كان مجال تنقلها جنوب شرق ورقلة في إتجاه قاسي الطويل وغدامس ، ينظر : نفسه ، ص 88 .

[5]- عبد الحميد زوزو ، محطات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 98

للحصول على امدادات يخضع بها ورقلة، والقبائل المعادية له، في مقابل تأدية اللزمة، كرمز الخضوع للسلطة الفرنسية، وفي 20 نوفمبر 1849م منحت السلطات الفرنسية إلى الحاج أحمد بن باية لقب الخليفة على كامل منطقة ورقلة وأرسلت إليه مائتين(200) فارس لإقرار سلطته الفعلية على المنطقة [1]. وعند موت الحاج أحمد بن باية ورث ابنه أبو حفص لقب الخليفة، لكنه انشغل أيضا بالصراع مع أخيه الطيب[2] .

وبالنسبة لمحمد بن عبد الله فقد مرَ عام كامل من الترقب والانتظار عمل فيه على دراسة الأوضاع، والتعرف على الخريطة السياسية والاجتماعية للمنطقة فقرر استغلال الوضع الراهن والبدء بعمله الثوري، مما يعني تجاوز المنطقة لمرحلة الصراع الداخلي والدخول في مرحلة جديدة هي مرحلة مقاومة الفرنسيَين غزاة الوطن[3] .

وبفضل نشاطه الديني، ورسائل محمد بن علي السنوسي، إستجاب الناس للعمل الجهادي، وتجندوا تحت لواءه، وأخذت سمعته تنتشر بين العامة ونفوذه يزداد ويتوسع، فقد ساعده على ذلك قدومه من أرض الحجاز، أرض الإسلام والقداسة، فشعر بنوع من القوة والثقة بالنفس[4]، فكانت ورقلة أول هدف وضعه نصب عينيه للإستيلاء عليها نظرا للمشاكل والصراعات التي كانت تعرفها، فلم تعترضه أي صعوبات تذكر، فقد إتجه إليها رفقة زوجته مريم، وكاتبه محمد بن علي، وزعيم المخادمة عبد الله بن خالد، وبذلت السيدة الفاضلة الصالحة الحاجة الزهرة أولالة الزهرة كما يقول عنها أبو القاسم سعد الله، دورا كبيرا في إستمالة

[1] - Trumelet .Op.Cit.p 31 .

[2]- Charles Féraud. Op.Cit. p 489 .

[3]- عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص 123 .

[4]- سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق ، ص 359 .

الناس إليه، خصوصا وأن السلطة كانت بيدها، ويقال بأن الشيخ السنوسي قد أوصى محمد بن عبد الله بلالة الزهرة خيرا، فهي التي لم تتردد في إبلاغ الناس بأن محمد بن عبد الله مبعوث من عند الله ليكون سلطانا على البلاد ويحررها من الكافرين، ولعب الزعيم المخادمي نفس الدور لحمل الناس على الاعتراف بزعامته[1]. ففي أواخر شهر جويلية وبداية شهر أوت بايع الورقليون محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة وكان ذلك سنة 1851 م، ولعل الورع والتقوى اللذين إشتهر بهما إضافة إلى التجربة الحربية، جعلت منه في نظر الناس الشخص المؤهل لمواجهة تحديات نقوسة، والرجل المناسب لصد تحرشات القبائل الموالية للفرنسيَين[2]، وعليه عمل محمد بن عبد الله على إخراج الصراع من مجاله الضيق إلى مجال أوسع وذلك بإعلانه الحرب على الفرنسيَين فقد أوجد خطة تساعده على القيام بتحركاته التي سطرها، وقد قامت خطته على عناصر أساسية هي:

1- جعل منطقة الزيبان وسوف تابعين له باستمرار، وذلك لضمان خط الرجعة نحو الجنوب التونسي من جهة، والحصول على الإمدادات الغذائية والحربية من جهة أخرى، كما أن السيطرة على هذه المنطقة معناه منع وصول الإمدادات إلى بني جلاب[3]، ولهذا عرفت قبيلة أولاد مولات[4] غارات عديدة بوصفها إحدى القبائل الخاضعة لبني جلاب[5] .

---

[1]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص ص 117،118 .

[2]- Trumelet . Op.Cit. . pp 61 . 62 .

[3]-. **بني جلاب** : أسسوا سلطتهم بمدينة توغرت في القرن العاشر في أواخر أيام بني زيان وإستولوا على وادي ريغ، إتسعت توغرت وإشتهرت على عهد بني جلاب فأقيمت بها القصور والجوامع التي أسسها بعض المهندسين التونسيَين ينظر : عثمان كعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر ، ص 301 .

[4]- **أولاد مولات:** هي قبيلة من وادي ريغ بدائرة بسكرة، تعرض أولاد مولات إلى غارتين إحداهما في أوت1851م، وإنتزع ابن عبد الله منهم ثمانين جمل، والثانية في سبتمبر 1851م. ثم كسب تأييدهم عندما أقام بينهم مدة قبل أن يتوجه إلى ورقلة. ينظر: حباش فاطمة المرجع السابق ص 113 ،و Trumlet.Op. Cit .p54

[5]- Séroka . Le sud Constatinois de 1830 à 1855 . R.A . 1912 . PP. 531.532 .

2- العمل على تغذية النزاعات ضمن منطقة وادي ريغ الخاضعة للنفوذ الفرنسي فقد استغل محمد بن عبد الله العداء القائم بين واحة تامسين و ورقلة وتطلعات سلمان إلى الحكم بعد عبد الرحمان، وذلك لإضعاف سلطنة بني جلاب الخاضعين للفرنسيَين. كما أنه حاول التحكم في المنطقة نظرا للأهمية التي تكتسبها كقاعدة تمد تحركاته نحو الزيبان وكمنطلق لنشاطه نحو جبال أولاد عمور وأولاد نايل[1] .

3- كسب تأييد أكثر الشيوخ نفوذا، وتأثيرا على القبائل ذات الإمكانيات الحربية والمالية مثل إبن شهرة شيخ قبائل الأرباع التي يشتهر أهلها بالفروسية ومثل سي النعيمي[2] وسي الزوبير من قبيلة أولاد سيدي الشيخ القوية [3] .

4- نشر أخبار ثورته، وإظهارها في شكل حركة جهاد هدفها الدين يدعمها ويباركها الخلفاء العثمانيون[4] .

وارتكازا على هذه النقاط الأربعة، بدأ بن عبد الله أولى خرجاته العسكرية بالهجوم على ورقلة على رأس مئة فارس وتسعمئة من المشاة، وجميعهم من قبائل المخادمة والشعانبة وبني ثور وسعيد عتبة [5]، والأرباع، وتماسين، وهنا

---

[1]- **أولاد نايل** : قبيلة شرق جبال العمور تشغل منطقة واسعة من الحدود الغربية إلى الزاب. أنظر:جلول يلس وأمقران حفناوي، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون،وزارة الثقافة، دط، الجزائر، 2007م. ص158.

[2]-عبد الحميد زوزو، المرجع السابق. ص 98:

[3] - Kaddache Mahfoud. L'Algèrie des algériens. (De la préhistoire à 1954). EDIF . 2000 P 603.

[4] - Séroka. Op.Cit. p 534 .

[5]- **سعيد عتبة** : ظهرت في القرن 13 م ، في العهد العثماني تفرعت إلى فرعين الأول يضم أولاد مولود بنواحي توقرت توقرت أما الثاني يضم عشيرة سعيد عمر بتماسين والحجيرة، والمخادمة المنتشرة بين ورقلة والرويسات ، ينظر : عبد الحميد زوزو ، مجلة الأصالة ، المرجع السابق ص 102 .

نلاحظ كيف انقلبت قبيلة سعيد عتبة ضد بن باية والفرنسيَين وانضمت إلى حركة محمد بن عبد الله، وذلك لارتباطها بقبائل الحرازلية والأرباع المؤيدة له [1] .

وعند واحة تماسين تقابل عبد الرحمان الذي كان على رأس ستمائة فارس (600) وخمسون من المشاة (50)، بجيش محمد بن عبد الله، وفي الجولة الأولى تغلب إبن جلاب [2] وألحق بجيش عدوه خسارة تقدر بـ (30) ثلاثين قتيلا وثمانية جرحى (8)، لكنه اضطر إلى التراجع في الجولة الثانية، بعد أن خسر ثمانين رجلا (80) وخمسة وعشرين جوادا (25) .

وبفضل هذا الانتصار كسب محمد بن عبد الله تأييد واحة تماسين وتأييد سكان ميتليلي في 12 سبتمبر 1851 م [3]، وبعد السيطرة على ورقلة فكر محمد بن عبد الله بالسيطرة على توقرت التي تخضع لسلطة عائلة بني جلاب منذ أزمنة طويلة فاتجه إليها وقد انضم إليه سلطانها السابق سلمان بن جلاب الذي عزله الفرنسيون وعوضوه بإبن عمه عبد القادر بن جلاب، فقاموا بمهاجمته وأرغموه على الاعتصام في برج القصر مدة من الوقت [4].

على إثر هذه الانجازات قرر محمد بن عبد الله مواصلة توسعه، فغادر توقرت متوجها إلى جبال العمور لجمع المزيد من الأنصار والأتباع، والمؤون والذخيرة فصادر أملاك نقوسة، وإعتقل معظم أفرادها، ومنهم الشيخ بوحفص وإخوته، وسجنهم بالرويسات قرب ورقلة، وأخذ يستعد لغزو مدينة بريان[5] الميزابية، بعدما كاتب باقي المدن الميزابية الأخرى طالبا منها الخضوع وتقديم

---

[1]- عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ص 98 .

[2] - Charles Féraud . " Ben Djellab sultans de Touggourt " . R.A N=°30 . 1886 p432.

[3]- عبد الحميد زوزو، مجلة الأصالة ، المرجع السابق ، ص110

[4]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 118 .

[5]- بريان : هي إحدى قصور الميزاب بغرداية .

الولاء والطاعة، لكنهم رفضوا وأعلنوا استعدادهم لمحاربته، وتحدَوه إذا أراد القتال أن يذهب لمحاربة الفرنسيَين أعداء البلاد. ويظهر لنا أن محمد بن عبد الله لم يكترث لهذا التحدي، فإقترب من متليلي وعسكر في جنوبها صحبة عدد من الشعانبة والمخادمة والأرباع، وبعد مناوشات صغيرة ومحدودة، عاد أدراجه إلى ورقلة وعين الشيخ الطيب شقيق الشيخ بوخريص، رئيسا على نقوسة[1].

وفي ديسمبر من سنة 1851م، سار محمد بن عبد الله على رأس قبائل سعيد عتبة وشعانبة بوروبة، وشعانبة القليعة ضد أولاد سيدي ساعد بن سالم من قبائل أولاد نايل، فجردها من خمسمائة جمل (500)، وأربعمائة (400) رأس من البقر، وأكثر من أربعة آلاف (4000) رأس من الغنم[2].

إن تزايد النفوذ المادي والمعنوي لمحمد بن عبد الله، قد دفعه إلى التوسع شمالا وكان ذلك في فيفري 1852م، حيث إلتقى بجموع القوم التي يقودها الأغوات الثلاثة[3] ، وهم باشاغا منطقة الجلفة الشريف بن الأحرش وخليفة مدينة الأغواط أحمد بن سالم[4] ، وآغا جبل العمور الدين بن يحي .

وحسب رواية شارل فيرو أن الأطراف قد تواجهت عند جبل العمور، حيث احتدم الصدام، وكان النصر حليف محمد بن عبد الله [5]، وكنتيجة لهذا النصر، تم التحاق

---

[1]- نفسه ، ص 118 .

[2] - Charles Féraud. « Ben Djellab…… » RA Op .Cit . p 433

[3] - Ibid. p433

[4]- قدم خليفة الأغواط أحمد بن سالم تقريرا مفصلا للسلطة الفرنسية عن بداية الثورة في الجنوب وكان ذلك بتاريخ أفريل 1851 م ، لهذا أسرعت الهيئات العسكرية لإعطاء أوامرها لتشكيل حملة عسكرية من المدية تحت قيادة الجنرال لادميرول (ladmirault) في شهر ماي 1851 م ، وعند وصول الطابور الفرنسي إلى الجلفة يوم 3 جوان ، إستدعى قائد الحملة جميع شيوخ القبائل الموالية ومنهم خليفة الأغواط صاحب التقرير، والآغا سي الشريف بالأحرش ، وذلك لتدارس الموقف، وكان معهم صهر خليفة الأغواط ، وهو إبن الناصر بن شهرة والذي أبدى الجنرال لادميرول ميله إليه لتعيينه خليفة على الأغواط بدلا من أحمد بن سالم ، وحسب الروايات الأجنبية فإن هذا هو السبب الذي إختلف حوله إبن شهرة مع صهره ، ينظر : إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 105 .

[5]- Charles Féraud. Op. Cit. p230

التحاق الكثير من القبائل بصفوفه، أما يحي بوعزيز فيذكر أنه حصلت معركة ومناوشات محدودة عاد على إثرها عبد الله إلى الجنوب للتحضير من جديد[1] .

المبحث الثاني : التوسع والمدَ نحو الأغواط شمالا 1852م

قرر محمد بن عبد الله توسيع نطاق حركته، فكانت الأغواط[2]، هي الوجهة الثانية بعد ورقلة، وفي هذه الفترة اتصل به إبن الناصر بن شهرة[3] ، طالبا منه الانضواء تحت حركته، بعدما غادر هذا الأخير إقامته الجبرية متخفيا من بوغار يوم 5 سبتمبر 1851 م[4] بعدما سئم حياة الإذلال التي سلطت عليه فإتجه إلى شهبونة، فلحقه عدد من جنود الصبايحية بقيادة الملازم كروز (carrus)، من أجل إقناعه بالعدول عن نواياه المبيتة ضد فرنسا، غير أن الناصر بن شهرة وأخاه أبا بكر، قد أعدا لهم كمينا محكم التدبير ليبرهن لهم عن قدرته القتالية فجرد الوفد العسكري من أسلحتهم وخيولهم، وحتى ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم ثم أطلق سراحهم ليرجعوا من حيث أتوا راجلين، وليعلموا رؤسائهم على لسانه بأنه لن يطيعهم بعد اليوم، وأنه قد رفض خدمة الفرنسيَين، التي كلها مذلة وإهانة

---

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر خلال القرنين 19 و20، المرجع السابق ، ص 155 .

[2]- **الأغواط** : إحدى مدن الجزائر الجنوبية، كانت تنطلق منها الإتصالات بين الجنوب الوهراني والجنوب القسنطيني، وتعد من الواحات الأولى التي قبلت بالإستعمار الفرنسي ولم تقدم أي مساعدات للأمير عبد القادر ، ينظر : شارل أندري جوليان ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، الغزو وبدايات الإستعمار (1827 – 1871)، تر ، عياش سلمان، دار الأمة، ط1، الجزائر ، 2008 م ، ص 657 .

[3]- **إبن الناصر بن شهرة**: بن فرحات، تربى في جو مملوء بالبارود والفروسية ، كان من أبرز زعماء قبائل الأرباع ، ولد سنة 1804 م ، وتزوج أول مرة بنت السيد أحمد بن سالم سلطان مدينة الأغواط ، ولما إحتل الفرنسيون الجزائر، رفض الخضوع لهم وتوجه إلى أعماق الصحراء فلم توافق زوجته على الذهاب معه فطلقها ، بعدها تزوج بإبنة الشريف محمد بن عبد الله ياقوت، كان إبن الناصر بن شهرة إحدى أبرز الأبطال في ثورة الشريف 1851 م ، وكذلك ثورة 1871 م ، بعدها سافر إلى بيروت الشام أمضى بقية حياته بها مجاورا لصديقه الأمير محي الدين ابن الأمير عبد القادر، وبها توفي سنة 1884 م ، فيكون بذلك قد عاش 80 سنة من عمره ، ينظر : أحمد بن أبي قصيبة , إبن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871 ، مجلة الأصالة ، عدد 6، السنة الأولى ، 1972م ، ص 58 ، كذلك ، عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص 182 ،186.

[4]- Mangin. Op.Cit. 276 .

وأنه سيلتحق بالسطة الشرعية والتي تمثل الشرف والكرامة والدفاع عن الدين والوطن[1] وعليه فقد عاود محمد بن عبد الله الإتصال بابن الناصر بن شهرة وذلك من أجل التنسيق والعمل المشترك لإيقاف المد الفرنسي إلى الجنوب وكان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851 م[2].

وفي بداية سنة 1852م، استنفر محمد بن عبد الله سلطان ورقلة كل القبائل الجزائرية الموالية له محاولا غزو منطقة الأغواط، فتخوفت السلطات الفرنسية من هذه التحركات وعلى إثرها أمر الوالي العام للجزائر راندون[3] (Randon) يوم 7 فيفري 1852م، الجنرال لادميرول بتشكيل طابور متنقل فإستدعى الفرق العسكرية للقوم بالتيطري والتل، وشكل منهم ألف وخمسامئة فارس (1500)، وانضموا إلى قوم أولاد نايل تحت قيادة سي الشريف بالأحرش وفي 22 فيفري تحرك الطابور المتكون من عدة سرايا وكتائب إلى الأغواط فوصلت إلى أسوارها يوم 4 مارس فاتصل بها الخليفة أحمد بن سالم حيث تلقى التعليمات اللازمة لحراسة الأغواط، ثم واصلت هذه القوات العسكرية طريقها إلى قصر الحيران، الذي دخلته بدون مقاومة تذكر، فعمل الجنرال الفرنسي على تنظيم السلطة بها وترك فيها كتيبة من الجيش وفصيلة من الصبايحية، ثم قفل راجعا إلى الأغواط يوم 13 مارس 1852م[4]، وواصلت القوات الفرنسية تحضيراتها، بعدما شعرت أن القبائل الصحراوية تتمتع بحرية تامة، تجعلها على استعداد لتحضير نفسها للمواجهة. فعملت على تجميع جيوشها بمدينة تيارت تحت

---

[1]- إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق ، ص 127 .

[2]- Mangin. Op.Cit. 276 .

[3]- **راندون** : ولد بقرونبل في 25 مارس 1795 م، حاكم عام للجزائر سنة 1852م على إثر سقوط الجمهورية الثانية، ينظر: حباش فاطمة، المرجع السابق، ص26

[4]- إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837_1934م)، المرجع السابق ، ص 112 .

قيادة الرائد ديليني (Déligny) حيث احتوى هذا الجيش على طابور قوي من كتيبة المشاة والسرية الثانية من الصبايحية[1] وفرق من القوم، ثم توجهت هذه القوة إلى البيض لتنضم إلى قوات سي حمزة بن بوبكر[2] ، الذي خيم عند وادي زرقون في إتجاه وادي ميزاب مع أولاد سيدي الشيخ، وفي يوم 22 مارس1852 أسرع محمد بن عبد الله سلطان ورقلة بقواته إلى السير بمحاذاة نواحي الأغواط، التي احتلتها قوات طابور المدية، ليعاقب أولاد يعقوب قرب الماية، لأنهم رفضوا الانضمام إليه. ثم بعد ذلك انحدر إلى وادي زرقون، حيث نصب خيامه بالقرب من أولاد سيدي الشيخ، غير أن سي حمزة لم يحاول الذهاب إليه واكتفى بإنذاره[3]، وبالتالي فإنه سمح لمحمد بن عبد الله بالتراجع والإنسحاب نحو الجنوب، ويظهر أن موقف سي حمزة هنا كأنه مؤيد لمحمد بن عبد الله، لذلك أمره الرائد ديليني بأن يرتد يوم 5 أفريل، فامتثل لذلك سي حمزة وأعلن خضوعه للفرنسيَين، وعلى إثر ذلك سلم سي حمزة إلى القائد الفرنسي ديليني الرسائل الثلاث[4]، التي كان قد استلمها من محمد بن عبد الله من أجل إيصالها لأصحابها فالرسالة الأولى كانت موجهة إلى سي الشيخ بن الطيب الذي كان على رأس المهاجرين الصحراويَين برأس العين لبني ماطر، والثانية موجهة إلى سيدي محمد بالمكي وهو من الشخصيات المرموقة والمؤثرة لدى قبيلة بني زناسن وأما الثالثة فكانت موجهة إلى سيدي محمد بن ملوك مقدم لسيدي محمد بن علي

---

[1] - Mangin. Op.Cit. 60 .

[2]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق ، ص 131 .

[3] - Ibid . p 60 .

[4]- **الرسائل الثلاث**: يدور موضوع هذه الرسائل حول الأوضاع المأساوية للبلاد على إثر الإحتلال ويطلب فيها منهم تعبئة الناس وشحنهم بالروح الدينية والنضالية من أجل مواجهة الفرانساوية ينظر:
Mangin.Notes sur l'histoire de laghouat. R.A . N=° 39. 1895. pp 146-147

زيسن عند بلاط عطية، وعلى هذا الأساس قام الجنرال بيلسيه (pelissier) قائد أركان الفرقة العسكرية بوهران بإلقاء القبض على سي حمزة بن بوبكر زعيم أولاد[1]، ووضعه في السجن وتم تعويضه بأخيه سي النعيمي[2] .

استطاع شريف ورقلة محمد بن عبد الله أن يجمع قوة هائلة تفوق ألفين وثمانمائة رجل (2800)[3] ، وذلك بالتفاف عدة قبائل حوله منهم : الأرباع بقيادة الناصر بن شهرة والحرازلية، وأولاد سيدي عطا الله، وقبائل سعيد عتبة ومخادمة ورقلة، وشعانبة متليلي وقبيلة سعيد أولاد عمر بتماسين، وأهل ميزاب فضلا عن انضمام أولاد جلاب، والذي أصبح يتولاهم سلمان بن علي بن جلاب الذي كان حليفا لمحمد بن عبد الله .

وعلى إثر هذه الاستعدادات لمحمد بن عبد الله، قام الضابط كولينيو (collineau) قائد بسكرة، بجمع قواته من مختلف الفرق، وانضم إليه النقيب بان (pein)، القائد الأعلى لبوسعادة، فالتقى الطرفان في معركة ضارية يوم 22 ماي 1852م، جنوب وادي الجدي بجنوب مدينة بسكرة[4] ، أسفرت على العديد من القلى والجرحى لكل الفريقين، ولكن النصر كان حليف محمد بن عبد الله وحلفاءه وتعتبر أول معركة له ضد الفرنسيَين[5] .

---

[1]- **سي حمزة:** ولد في حدود 1810 م،أمه تدعى ياقوت، توفي في 21 أوت 1861 م ، يقال أنه قتل من طرف الفرنسيين لأنهم لم يثقوا فيه. ينظر، حباش فاطمة ، مرجع سابق ، ص 13,

[2]- إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص 111.

[3]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص 120.

[4]- منور العربي ، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ، دار المعرفة ، دط، الجزائر ، دس، ص 246 .

[5]- إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ص212

وعلى إثر هذا الإنتصار الباهر لمحمد بن عبد الله ازدادت سمعته في الانتشار بين القبائل الصحراوية، ومن بينهم بني ميزاب الذين لم يكتفوا بتزويد حركته بالجنود والمشاة فقط، بل أمدوه أيضا بالمؤن والذخيرة رغم تهديدات الفرنسيَين لهم، حيث منع راندون منعا باتا بيع الحبوب للميزابيين، في جميع أسواق التل[1] وفي هذه الأثناء تحرك القائد ابن الناصر بن شهرة ناحية الأغواط واستولى على بلدة الحيران وقصرها، حيث كانت تتمركز به كتيبة من جيش الفرنسيَين وفصيلة من الصبايحية، فاستطاع هزيمتهم بكل سهولة، وبعدها بادر بتحصين قصرالحيران قصد الجوء اليه وقت الحاجة. ومن التطورات الهامة التي حصلت في صيف 1852م، هو إعلان سي النعيمي في 25 جويلية من نفس السنة، عن ولائه لسلطان ورقلة والانضمام إليه كما عوض الجنرال لادميرول بالجنرال يوسف على شعبة العسكرية بالمدية، وقد جاء هذا الأخير بفكرة التعجيل باحتلال الأغواط باعتبارها نقطة ساخنة [2]، وعلى هذا الأساس قام راندون بكتابة تقرير إلى الوزارة الحربية بباريس يوم 5 سبتمبر 1852م، يوضح فيه أهمية السيطرة على المنطقة، لتصبح الإمتداد الجنوبي للإحتلال الفرنسي[3].

وفي هذه الأثناء تحالف محمد بن عبد الله مع الآغا الأغواطي يحي بن معمر بن سالم، وسار معه في محاولة للسيطرة على الأغواط مركز أخيه الخليفة أحمد بن سالم، بسبب غضبه منه، فوصلا إلى أسوارها يوم 15 سبتمبر 1852م لكن الجنرال يوسف أنجدها وأبعدهما عنها [4]، وفي محاولة من الجنرال يوسف

---

[1] - Trumelet . Op.Cit. p 47 .

[2]- إبراهيم مياسي ، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837_1934م)، المرجع السابق، ص253

[3]- وأضاف أيضا في تقريره أنه " يجب إقامة حامية معتبرة في هذه النقطة ، والتي ستسطر معالم الحدود القصوى التي لا يمكننا تجاوزها بدون مبالغة " ، ينظر : شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 657 .

[4]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، المرجع السابق ، ص 155 .

قام ببعض التحركات في المنطقة من أجل إيهام السكان بالتواجد القوي للفرنسيَين من أجل مواجهة المتمردين، وفي يوم 4 أكتوبر 1852 م، إلتقى الجنرال يوسف بمحمد بن عبد الله وأتباعه، في مواجهة دامية في منطقة غدير وادي مزي، قرب عين الرق[1]، إذ سقط حوالي مائتي (200) قتيل فرنسي، وغنم محمد بن عبد الله وأتباعه أكثر من عشرين ألف رأس غنم (20.000)، وألفي جمل (2000) من أعوان السلطات الفرنسية [2].

بعدها تراجع الجنرال يوسف إلى الجلفة عن طريق بلده مسعد، حيث علم أن سي النعيمي يتوجه نحو بلدة تاجرونة على رأس مائتي فارس (200)، وأن محمد بن عبد الله يتوجه إلى بلدة قرارة على رأس قوة هائلة تقدر بألفي ومائتي فارس (2200)، ليتوغل إلى جبال العمور شمالا عن طريق فجوة وادي ملاح لاستشارة أهلها [3]، ولهذا قام الجنرال الفرنسي بمصادرة أملاك يحي بن معمر وأنصاره كعقاب لهم .

ولم ليبث الشريف محمد بن عبد الله أن إنتقل إلى الأغواط، أين استدب له الأمر بها، بعدما قام سكانها بمبايعته في 2 نوفمبر، فعمل على توعية الناس وإلهاب حماسهم، وإستنفارهم للجهاد في سبيل الله[4].

---

[1]- نفسه ، ص 155 .

[2] - Trumelet. Notes pour servir à l'Histoire de l'insurrection dans le sud de la Province D'Alger en 1864 . R.A N=° 21.1877.P 79

[3]- إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر. المرجع السابق ، ص 215 .

[4]- إبراهيم مياسي ، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية(1837_1934م) ، المرجع السابق ، ص 116 .

وعلى إثر هذه التحركات لشريف محمد استنفرت السلطة الإستعمارية بجيوشها ومعها فرق المخزن، لفتح مدينة الأغواط [1] ، فقام الجنرال راندون بتجنيد ثلاث فرق كبيرة لمحاربته من وهران، معسكر والمدية الأولى بقيادة الجنرال يوسف المتمركزة بالجلفة منذ مطلع 1852م، والثانية بقيادة بيلسيه المتمركز بالبيض، والثالثة بقيادة ماك ماهون[2]،كلفت بحماية منطقة بسكرة والواحات الشرقية وقسنطينة [3].

علم الجنرال "بليسيه" يوم 22 نوفمبر 1852م، بأن الجنرال يوسف قد غادر الجلفة ليواجه الثوار بقصر الحيران، فاستدعت السلطات الفرنسية إلى البيض يوم 25 نوفمبر كل من فرق قوم أولاد سيدي الشيخ الشراقة والأغواط الإكسل[4] وحميان الشراقة، وبذلك أجتمع حوالي سبعمائة فارس (700) وخمسمائة (500) من المشاة، ووضعت هذه القوات كلها تحت قيادة الشيخ سي حمزة بن بوبكر[5] . وفي 26 من نوفمبر، جاءت بليسيه تعليمات للتوجه فورا مع طابوره إلى الأغواط أين يعتصم شريف ورقلة وأتباعه، فأخذ بليسيه قيادة كل الفرق وإدارة العمليات، فخيم يوم 27 نوفمبر بستيتن ويوم 28 خيم قرب بوعلام على

---

[1]- بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص 257 .

2- **ماكماهمون :** ولد بمدينة صالي (Sully) في 13 جويلية 1808م، حاكم عام للجزائر، وهو ذو مذهب كاثوليكي ينظـر: Narcisse Faucon. Le livre D'orde de l'Algérie .paris.1889.p 409

[3]-Pellissier de Reynaud. Annales. ALGERIENNES. Tome troisième .Paris .Librairie Militaire .1854.p 127.

[4]- **الأغواط الإكسل** : هم بعض القبائل التي طردت من طرف بني هلال إلى ناحية البيض وهم أربعة أعراش هي: أولاد مومن ، الرزايقة ، أولاد عمران، أولاد عيسى، أما إكسل فهو إسم جبل بالبيض إنجذب إليه بني الأغواط ، ينظر : مياسي براهيم ، مرجع سابق ، ص 134 .

[5]- نفسه ص129.

وادي مخترا، ويوم 29 خيم في خنقة الملاح، ويوم 30 بتاجرونة[1]، وفي الأول من ديسمبر وصلت الجيوش لموضع يقال له الحويطة، فقسم " بليسيه" الجيش إلى قسمين، توجه هو بالقسم الأول إلى الأغواط يوم 2 ديسمبر. وفي هذا الصدد يقول المزاري أن الماريشال بليسيه والجنرال دوليني (Deligny) قد توجها ومعهم القناصين[2] . أما القسم الثاني من الجيش فقاده الجنرال بوسكارين (bouscaren) وإنطلق في نفس اليوم آخذا طريقا أطول للوصول إلى مشارف الأغواط [3] .

نصب الجنرال بليسيه مخيمه عند أسفل رأس العيون بالضفة اليمنى لوادي مزي[4] حسب إبراهيم مياسي في كتابه الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837 _ 1934)، أما المزاري فيقول في كتابه طلوع سعد السعود أن بليسيه قد خيم قبالة سيدي عيسى الأغواطي[5]، وقد تموقع الجنرال يوسف على على بعد حوالي ألفي متر (2000 م) من المدينة .

أمر الماريشال "بليسيه" الجنرال بوسكارن بالإستيلاء على سيدي عيسى الأغواطي فنصبت المدافع، وفي الغد شرع في القتال، أي يوم 3 من ديسمبر فعملت القوات الفرنسية على احتلال المواقع الإستراتيجية كالتلال، ومحاصرة المدينة من كل النواحي، وعلى إثر هذه المداهمة لسيدي عيسى الأغواطي سقط

---

[1]- **تاجرونة :** تابعة إلى آفلو تقع في الطريق الرابط بين سعيدة وورقلة وتبعد بـ : 36 كلم عن عين ماضي وبـ 283 كلم عن سعيدة ، ينظر: حباش فاطمة ، مرجع سابق ، ص 67 .

[2]- بن عودة المزاري ، مصدر سابق ، ص 257 .

[3]- إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص122

[4]- إبراهيم مياسي ، قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر ، المرجع السابق ، ص 128 .

[5]- بن عودة مزاري ، مصدر سابق ، ص 257 .

أربعة قتلى من جانب الفرنسيَن، وكلهم ملازمين ذوي مكانة في الجيش الفرنسي[1].

وفي صباح يوم 4 ديسمبر، تقدم قائد العمليات الجنرال بليسيه مع طوابير الهجوم لتتمركز في مواقع حصينة، في انتظار إشارة الانقضاض، لكنهم تعرضوا إلى هجومات مباغتة وعنيفة من طرف أتباع محمد بن عبد الله، الذين زعزعوا صفوف الجيش الفرنسي وحاولوا تحطيم مواقع المدفعية، وعلى هذا الأساس تلقى العسكر الفرنسي الأمر بالاقتحام فبدأوا يستولون على أحياء المدينة الواحدة تلوى الأخرى، ويحبطون كل محاولات المقاومة من طرف محمد بن عبد الله وأتباعه أمثال الناصر بن شهرة الذين قاتلوا ببسالة، فتحولت كل أماكن المدينة إلى ميادين للقتال وامتلأت الأزقة والشوارع بالجثث والقتلى والجرحى[2].

لقد شاركت كل الفرق العسكرية في الهجوم على الأغواط، كما هاجم الجنرال يوسف المدينة من الشمال، واستطاع أن يحتل البنايات التي تؤدي إلى الحدائق حتى يحاصر المقاومين ويمنعهم من الإعتصام في مواقع حصينة، وقد إستطاع العقيد "كلار" أن يحرر حوالي ثلاثمائة أسير (300) من عائلات الأعيان واليهود الموالين لفرنسا [3] كان قد وضعهم في بيت الخليفة بن سالم تحت حراسة بعض من بني ميزاب فأنقذهم وتم نقلهم إلى القصبة[4].

---

[1]- من القتلى الذين سقطوا النقيب "فرانز" (FRANTZ)، والنقيب بيسيار (BESSIERES) وملازم الأركان "بوكة" (BOQUET) وساعده "روميار" (ROMIERE) ، ينظر : إبراهيم مياسي.الإحتلال الفرنس للصحراء الجزائرية (1837_1934م) ، المرجع السابق ، ص 120 .

[2] - Mangin . Notes sur l'histoire de laghouat .R.A. N=° 39.1895. PP.6-7.

[3] - Mangin.Op. Cit pp.316-318.

[4] - Ibid. P318.

نتج عن الهجومات انسحاب الثوار ليلا ومنهم محمد بن عبد الله وبن شهرة ويحي بن عمر والتلي بن لكحل بعد أن تأكدو من أنه لا جدوى من المواجهة، نظرا لعدم تكافؤ القوى، وكثرة الضحايا[1]. ففتحت المدينة بعدما مات من أهلها نحو ألف ونصف أي (1500) حسب المزاري[2]

المبحث الثالث: مجازر الفرنسيين في الأغواط

كان غضب الضباط الفرنسيين والجنود يزداد شراسة كلما لاقوا أية مجابهة، وهذا ما جعلهم يقتحمون المنازل ويطعنون كل من يجدوه في طريقهم[3].

ويبرروا المجزرة المرتكبة بقسوة الحرب، وفي تقرير لأحد الجنرالات قال أنه تم الاستيلاء على المدينة بكل سهولة، وأن عدد القتلى و الجرحى الفرنسيين شبه منعدم[4]. فقد قدرتها السلطات الفرنسية بأنها لاتتجاوز الخمسين قتيلا وعدد من الجرحى، مقارنة بالخسائر التي تكبدها المقاومون[5].

فطيلة ثلاث أيام كان الهم الوحيد للكتائب الفرنسية هوحرق الجثث أو الزج بها في الأبار، أورميها الى جانب الأحصنة أوالإبل والحمير الميتة وقد أضاف أحد الجنرالات قائلا " ... ما نفعله هنا ربما يكون سافلا ولكن الحرب تحمل الكثير من الرذائل، وان السماء لغفورة " [6] .

---

[1]- ابراهيم مياسي. المرجع السابق. ص 124.

[2]- بن عودة المزاري. المصدر السابق، ص 257.

[3]- Trumelet. Op . Cite.P47.

[4]- شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص 660.

[5]- ابراهيم مياسي. المرجع السابق. ص125

[6]- شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص 661.

وطوال مدة ثمانية أيام كان يتم قتل كل الذين سلموا أنفسهم في شكل مجموعات تتألف من 12 الى 15 شخص، ولقد اشتكى أحد الجنود من أن السيوف قد تعطلت و أصبحت غير حادة [1].

وقد استمع فرومنتين [2] إلى شهادة ضابط شارك في العملية وقد تحدث بمرارة عن امرأتين شابتين قتلهما الجنود بواسطة العصي بهدف سرقتهما والحال أنه لم يبق بحوزة المرأتين لا حلي ولا دبابيس لشد لحافهما، ولا حتى مناديل الرأس، وأنهما كانتا مجردتين من الثياب أو شبه عاريتين و حافيتى القدمين.

وقد ظلت النسور والغربان تحلق مدة شهر كامل فوق المدينة و كأنها مقبرة جماعية، وقد قال أحد الجنود:"... أن هؤلاء الناس ليسوا أشرارا (أي الجنود الفرنسيين)، ولكنهم كانوا يخشون مجيء يوم تصفية حساباتهم، ولم يتمكنوا من أن يشفوا غليلهم و أحقادهم الدفينة...".

حتى إن الأماكن المقدسة لدى السكان قد استهدفت، فقد حولوا مسجد المدينة الى كنيسة وبنيت بجانبها اقامة للكاهن. واستولى الجنود الفرنسيين على ضريح الوالي "سيدي الحاج عيسى" وحولوه الى نصب تذكاري للجنود والضباط الذين سقطوا في المعارك، وخلدوا ذكراهم بنقش أسمائهم بالخناجر على جدران الضريح، وعلقوا عليه قوائم بأسماء الضباط و الجنود القتلى والجرحى منهم وإحدى هذه القوائم مؤرخة في 03 ديسمبر 1852م[3]، أما على الصعيد السياسي

---

[1]- محمود علالى، الحركة الاصلاحية في الأغواط (1916-1958م)، وزارة الثقافة. الجزائر 2008. ص 55.

[2]- **فرومنتين أوجين Eugéne Fromentin** ولد بمدينة لاروشيل بفرنسا في 24 اكتوبر 1820، زار الجزائر 3 مرات: 1846-1847-1852 . صاحب كتاب: صيف في الصحراء (un élé dans Sahara) ، ينظر: عيسى عطاش، صورة الجزائر في hدب الرحلات الفرنسي " صيف في الصحراء " لفرومنتين نموذجا. مذكرة لنيل شهادة ماجستير، اشراف: أحمد منور. جامعة الجزائر، 2005-2006. ص 10.

[3]- عيسى عطاش، نفسه.ص 88.

فقد أرسل المارشال راندون برنامج يتضمن خمس نقاط الى الجنرال مارغريت القائد الأعلى لمدينة الأغواط ويتضمن مايلي:

1_ توفير الامكانيات اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين وإتمام السيطرة عل المدينة.

2_جعل الأغواط مدينة كبيرة وتحويلها الى مركز سياسي وتجاري من أجل استكمال المشاريع الاستعمارية.

3_تدعيم الثقافة الفرنسية محاولة بذلك فرنسية المنطقة.

4_تثمين العلاقات مع أقصى جنوب الجزائر.

5_تطوير تجارة الأصواف وتحسين السلالة الغنمية[1] .

وبقرار وزاري يوم 26 جانفي 1853م، تمت الموافقة على تكوين ملحق المكتب العربي بالأغواط متصلة بالشعبة العسكرية للمدية.

[1]- محمود علالي، المرجع السابق. ص 50.

الفصل الثالث مرحلة التراجع والضعف ونهاية الثورة1852_1861

المبحث الأول: سقوط مدينة ورقلة 1854م، والتراجع جنوبا.

لقد خرج محمد بن عبد الله من معركة الأغواط جريحا، فانسحب وأتباعه إلى ورقلة وتوقف نشاطه مدة من الزمن إلى أن شفي من جروحه، وفي ماي 1853م أعلن سلمان الجلابي[1] نفسه خليفة لشريف ورقلة ليعاونه في تجنيد أهل سوف كما طلب من باي تونس دعمه ضد الفرنسيين، لأن الحاكم العام للجزائر بدأ يخطط لعمل عسكري مباشر لاحتلال تقرت وسوف مستغلا ضعف وتراجع ثورة محمد بن عبد الله[2].

ولإعطاء نبض جديد للثورة، قام محمد بن عبد الله بالاشتراك مع سي النعيمي بن بوبكر في 14 سبتمبر 1853م. في محاولة لغزو الأغواط مرة أخرى، وفي طريقهما إليها هاجما أولاد طيفور[3]، واتجها إلى الماية ومتليلي عبر تاجرونة، فخاضوا عددا من المعارك فتفطن الفرنسيين لهذه التحركات، فجندوا له قوات قدرت بحوالي ألفي رجل مدعمة بقوات القوم بقيادة قياد وأغوات، ولعب فيها الخليفة حمزة بن بوبكر من أولاد سيدي الشيخ دورا رئيسيا، حيث تقدم على رأس ألف فارس وألف ومائتين من المشاة في أواخر سنة 1853م، فأخضع بها قصر متليلي، ومنطقة وادي ميزاب واستطاع دخول ورقلة ذلك بعد انتصاره على محمد بن عبد الله في مواجهات متفرقة في برزينة والرويسات، آخرها في عرق

---

[1]- إقترح الفرنسيون أن يكون واحد من أولاد شنوف حاكما جديدا على تقرت، وعزل سلمان، فأرسلوا أحمد باي بن شنوف إلى سوف كقائد عليها، ولمحاولة إبعاد السوافة عن سلمان. غير أن سلمان بدأ في مداهمة بعض السواف، ففي أفريل 1853م، خسر الكثير من الدعم الباقي له في سوف عندما أغار على كوينين على رأس ثمانين رجل لقتل بعض الزعامات، خصومه القدامى من خدع عبد الرحمان لكنهم فروا وإكتفى بالرجوع إلى تقرت أين إندمج مع محمد بن عبد الله في معارك نوفمبر 1854م، ينظر : Charles Féraud « lesben-Djellab … » RA Op.Cit. 113.

[2]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 174.

[3]- **أولاد طيفور** : قبيلة جنوب غرب عين ماضي .

بوسروال جنوب ورقلة، وبذلك تنتهي سلطنة ورقلة على يد سي حمزة، وتدخل تحت النفوذ الفرنسي بمصطلح أغوية ورقلة بتاريخ 27 جانفي 1854م[1] .

على إثر هذه المعارك وتوالي الانهزامات لجأ محمد بن عبد الله وبن الناصر بن شهرة إلى وادي غير، فترة من الزمن ثم انسحبوا إلى نفطة وتوزر بالجريد التونسي حيث كان بن الناصر بن شهرة قد أصيب بجروح بليغة، ويذكر لنا يحي بوعزيز أن هذا الأخير قد وجه رسالة إلى باي تونس محمد باشا[2] يحيطه علما بدخوله الأراضي التونسية ويعلمه بأنه قد وجه أخاه سي النعيمي وبعض رفاقه لزيارته وطلب منه أن يستوصى به وبرفاقه اللاجئين خيرا، ومما ذكره بن الناصر بن شهرة في رسالته قوله: " ...ونحن مهاجرين استوصا (كذا) بنا خيرا (كذا) جميع الرعايا كأعراش الهمامة، وغيرهم لأننا خارجين (كذا) من بلادنا في طاعة الله ورسوله ولا يخصنا في بلادنا حرمة إلا من أجل الدين..."[3].

وخلال إقامتهم بتونس متنوا علاقاتهم بكثير من اللاجئين الجزائريين وأخذوا من هناك يشنون غارات على الأعوان الفرنسيين داخل الحدود الجزائرية التونسية وكثيرا ما كان يشارك في هذا العمل ثوار ولاجئون آخرون منهم محمد بوعلاق اليعقوبي[4]، مما جعل أحمد باشا يوجه رسالة إلى وزيره خزندار يطلب

---

[1]- يحي بوعزيز ، مجلة الأصالة ، المرجع السابق ، ص 115 .

[2]- **أحمد باشا (1837م_1855م)**، تولى حكم تونس مايقرب عن 20 سنة عرفت تونس إزدهارا في فترة حكمه، حيث وجهها صوب الحضارة الغربية، وحرص على دعم أركان الحياة الثقافية بها، توفي سنة 1855م، ينظر: أحمد الطوملي، رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد بن أبي الضياف، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م، ص 10 .

[3]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص 127 .

[4]- **محمد بوعلاق اليعقوبي** من أولاد يعقوب الأغواطيين، هاجروا إلى تونس بعد أحداث الزعاطشة 1849، تعاون الكثير من المهاجرين الجزائريَين ضد الإحتلال خاصة محمد بن عبد الله وإبن الناصر بن شهرة، وإستقر بعائلته في بلدة نقة غرب قبلي ولاية قابس، فقبض عليه باي تونس ورماه في السجن بحلق الوادي حتى توفي عام 1875 م ، ينظر: عبد الحميد زوزو، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، المرجع السابق ، ص 526 .

منه العمل على اعتقال هؤلاء ووضع حد لنشاطهم، بعدما احتجت السلطات الفرنسية لدى تونس عن طريق قنصلها كولير بكلار، فرد عليه أحمد باشا بأنه يعلم بأمر محمد بن عبد الله ورفاقه، ومما قاله: "...فإنه بلغنا كتابكم في شأن الرجل الشريف الذي قدم من المغرب والجواب أننا سمعنا به قبل أن تخبرنا، وفي الحين كاتبنا أمير اللواء إبننا أحمد زروق بطرده وعدم قبوله في عمالتنا، كما هو شأن المحبة والموافقة بين الدولتين..."[1].

وفي رسالة أخرى له في نفس السياق ولنفس القنصل قال فيها: "...فإن رجلا من تلمسان إسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد، وأمرنا بطرده وإبعاده وعدم قبوله، ثم تحزب بمن معه وأغار على القطارية من رعيتنا ما بين نفطة وتوزر، وأخذ لهم قدر ثلاثين بعيرا، ووقعت بينهم القتلى والجرحى، وهو من القائمين على الحكم في الجزائر فأردنا أن نغصبه على البعد عن عمالتنا تحفظا من فتنته ونخلص منه ما أخذه، وإن لم يبعد نأذن بحربه فأعلمناكم ليكون ذلك على ذكركم فإننا لا نأوي القائمين في عمالتنا ولو لم يصدر منهم ضرر في عمالتنا أحرى مع الضرر..."[2] .

وعلى إثر هذه الأحداث دخل محمد بن عبد الله إلى الجزائر مرة أخرى في سبتمبر 1854م، حيث اتجه بصحبة سلمان الجلابي إلى ورقلة، في محاولة للسيطرة عليها من جديد ولكن مسعاه قد فشل، فقد أحكمت القوات الفرنسية السيطرة عليها، وتعرضا إلى مواجهة شديدة من طرف الجنود، فانسحبا إلى وادي غير مرة أخرى بعدما فقد محمد بن عبد الله أغلب أنصاره بورقلة، حيث تشير التقارير العسكرية أن أعيان ورقلة وهم عبد القادر بن كرمية (كبير بني سيسين)

---

[1]-يحي بوعزيز. المرجع السابق ، ص 128 .

[2]- نفسه. ص 129.

والحاج بن الحاج معيزة (كبير بني أوجين)، والحاج محمد (كبير بني ابراهيم) قد خضعوا للسلطة الفرنسية وجاءوا للبيض يوم 11 سبتمبر 1854م لدفع ما عليهم من الضرائب إلى سي حمزة بن بوبكر، وعلى إثر هذه الأخبار التي مفادها عودة محمد بن عبد الله تأهبت القوات الفرنسية للقيام بعمليات عسكرية للهجوم على الإقليم الذي يأوي محمد بن عبد الله، لأنه حسب زعمهم هو موطن الثوار والمشاغبين الذين يجب القضاء عليهم[1].

وعلى إثر هذا، استنجد سلمان الجلابي بأهل سوف وطلب منهم الإعانة والمؤازرة ضد الغزاة، فالتفوا حوله[2]، ودخلت هذه الوحدات العسكرية بقيادة الشريف محمد بن عبد الله إلى مدينة توقرت يوم 28 نوفمبر، والتحمت مع بعض المجاهدين، وبذلك أصبحت القوات تقدر بأكثر من أربعمائة فارس وألفين من المشاة [3]، في حين وصلت القوات الفرنسية المكونة من مئتين وخمسين جنديا نظاميا وألفي وأربعمائة إحتياطين يوم 26 نوفمبر إلى موقع "المقارين" "maggarin " والتقى الجيشان في معركة ضارية بمنطقة المذكورة يوم 29 نوفمبر، ولأن فرنسا قد كسبت خبرة وتجربة في حروبها مع محمد بن عبد الله فقد إستدرجت قوات المجاهدين من حصونها بتوقرت والطيبات إلى ميدان المعركة الفسيح فتقدمهم محمد بن عبد الله مع سلمان على رأس فرسانهم وكانت خطتهم تسريب المجاهدين المشاة تدريجيا إلى الأراضي المحيطة بالسبخة للوصول إلى ما يعرف بـ " كراع" مقارين، وهو شريط طويل من النخيل يربط مابين الواحات، وحتى لا يتسنى لقوات العدو الولوج إلى القرى، وبذلك يتمكنوا

---

[1] - Mangin. ‘’Notes surl……Laghouat’’. R A. Op Cit p115.

[2]- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ثالة، ط 2، الجزائر، 2009، ص 213 .

[3] - Mangin . Op .Cit .p 79

من محاصرة مخيم القوات الفرنسية والهجوم الكاسح عليهم، غير أن قائد الجيش الفرنسي، تفطن لهذه الخطة وأعطى أوامره للمشاة لتشديد الحراسة على المخيم والإحاطة بالواحة، ثم تقدم أفراد القوم مع سرايا الصبايحية لكتيبة القناصة الإحتياطين للأمام، وبمجرد ظهور فرسان الثوار حتى أسرع القائد الفرنسي بإرسال إليهم فرق القوم، إلا أنهم أرغموا على الرجوع[1]، وهذا ما شجع محمد بن عبد الله والمجاهدين معه على الإقدام والاندفاع جماعات لاحتلال المواقع الأمامية، والدخول إلى القرية ويعود هذا الاندفاع حسب إبراهيم العوامر إلى رجل يقال له "كرباع" الذي حمس الجنود وهم في فترة راحة فقال لهم: «.. كيف تصبرون على القتال إلى الآن ... »، فقام الناس من غير استعداد ولا نظام،وهاجموا المحلة وكانوا ينتظرونهم واقفين على قدم وساق[2] وعلى إثر هذا اضطربت صفوف الجنود الفرنسيَين لبضع دقائق، ثم استطاعوا السيطرة على قبة الوالي سيدي علي بن كنون، لأنها النقطة التي يحاول منها الثوار التوغل فاستطاعوا إيقاف المهاجمين عن طريق فرق القناصة، كما استطاعوا صدَ الهجوم من الأجنحتين اليسرى واليمنى، وهنا بدأت علامات النصر تظهر للقوات الفرنسية، فواصل الجنود القتال بكل شجاعة وإقدام وعملوا على ملاحقة الثوار وبعض السكان في مقارين وخارجها، وهذا ما جعل كل من سلمان بن جلاب والشريف محمد بن عبد الله يغادران الميدان بكل سرعة، تاركين وراءهما أتباعهما، يبحثون عن طريق للنجاة في كل الاتجاهات ولم يتمكن من الفرار إلا

[1]- إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص 175

[2]- إبراهيم محمد الساسي لعوامر ، المصدر السابق ، ص 313 .

عدد قليل منهم، أما الباقي فقد قتلوا فوق ميدان المعركة[1] وقد إعتبرت السلطات الفرنسية هذه المعركة نصرا باهرا لها، إذ لم تكلفها سوى عشرة قتلى وثمانية وثلاثين جريحا، أما عن الطرف الآخر، فقد خسر محمد بن عبد الله أكثر من خمسمائة قتيل بعدما فر مع سلمان إلى تماسين فإختفى بها أياما[2]، ثم انتقلا إلى سوف، فنزل بمدينة الوادي، ومكثا فيها مدة من الزمن، ومنها دخلا إلى تونس ليستقرا في الإقليم الجنوبي لها في نهاية ديسمبر 1854 [3]

المبحث الثاني: لجوءه إلى تونس وفراغ الساحة للفرنسيين.

إن لجوء محمد بن عبد الله إلى تونس قد دام مدة معتبرة من الزمن إبتداءا من 1854م إلى غاية 1858م، فخلال إقامته بالجنوب التونسي عمل على تجنيد قواته وتحضير نفسه لتجديد العمل الثوري، والدليل على هذه التحضيرات هو ما ذكره قائد قسمة باتنة في 16 فيفري 1855م، للسلطات الفرنسية بمقاطعة قسنطينة، بأن الشريف محمد بن عبد الله وسلمان يبحثان عن أنصار جدد عند بدو الصحراء بجنوب نفزاوة، وأن الشريف يقوم بمحاولات إتصال بقائد قابس ليستقر بتلك الجهة، ويظهر أن هذا الأخير قد وافق له على ذلك بشرط أن يتخلى عن دوره التحريضي للقبائل التونسية، حيث أن السلطات التونسية كانت تتعرض لمضايقات من طرف فرنسا بخصوص الغارات التي كانت تتعرض لها بين الفينة والأخرى على الشريط الحدودي لها، وقد علمت كذلك السلطات الفرنسية أن محمد بن عبد الله قد انفصل عن أعوانه وخيم بجبل مطماطة، وأن خيرة فرسانه قد توفوا مصابين بالوباء المنتشر بالمنطقة، منهم صهره محمد بن داود الذي كان

[1] - Marimier Rapport sur le combat de maggarin. livré le 29 novembre 1854 .Aux contingent réunis du cheikh de Touggourt et de chérif Mohammed ben .Abdallah .R.A N=° 39.1895.PP.155.157 .

[2] - Ibid. p 158 .

[3]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ص 122 .

بمثابة مستشار له، وتفيد المعلومات أيضا أن السيد محمد بن علي السنوسي قد بعث إلى الشريف محمد بن عبد الله بثلاثة مبعوثين من جبل درنة[1]، ليحثوه على الاتصال بمؤسس الحركة السنوسية المناهضة للتوسع الفرنسي في الصحراء الكبرى بإفريقيا لمواصلة الجهاد، كما علموا أيضا أن أتباعه من الحرازلية وأولاد أم العقون ينتظرون الفرصة للانفصال عنه، وهذا بعد تحريض وتشجيع من الفرنسيَين ضده.

إن كل هذه المعلومات الوافدة للسلطات الفرنسية عن تحركات الثوار،شجعتها لمواصلة زحفها، وفرضها للأمن بالمنطقة مستغلة فراغ الساحة لصالحها فعملت على حماية الحدود من أي خطر متربص من الجنوب التونسي كما عمل العسكريون على وضع خريطة أولية إبتداءا من 1857م، لمعرفة مواقع تمركز العدو ولإيقاف المدَ المستمر بين سكان المنطقة، ووضع حد فاصل للتواصل والتكافل بينهم لكن هذه الخطة لم تنفذ .

إن الفراغ الذي تركه محمد بن عبد الله في الجنوب الشرقي من البلاد، قد سمح للفرنسيَين بتكريس سياستهم الرامية إلى إخضاع كل المناطق الصحراوية فقد عمل راندون على الاتصال ببلاد التوارق، ومحاولة جلب شيوخها إلى الجزائر العاصمة وقد تمكن بالفعل سي حمزة بن بوبكر من استقدام جماعة منهم في مطلع سنة 1856م، كما وصلت منهم جماعة أخرى ومعها تجار من غات في سنة 1857م، وقد كانت السلطات الفرنسية ترمي إلى تكوين دلاة منهم لقوافلها المتجهة إلى تومبكتو وقام فعلا بهذا الدور شيخ قبيلة إيفوغاس الشيخ

[1]- إبراهيم مياسي: المرجع السابق ، ص 183 .

عثمان حيث قاد القافلة الفرنسية إلى غات ورجع بها إلى ورقلة في مارس 1858م[1].

وعليه نستطيع القول أن فترة غياب محمد بن عبد الله عن الصحراء، قد سمح للفرنسيَين بالتعرف أكثر على أسرارها والسيطرة عليها بتثبيت وجودهم وهكذا كانت البداية للإهتمام بعمق الصحراء الإفريقية التي كانت تنافسها دائما فيها بريطانيا.

المبحث الثالث: إعتقاله ونهاية ثورته 1861م

في ظل التحولات السياسية، وحتى الاقتصادية[2] التي عرفتها الصحراء في فترة غياب محمد بن عبد الله عنها، عاد إليها سنة 1858م على أمل أن يلقى نشاطه الثوري دعما جديدا فإتجه إلى منطقة توات[3]، ومن هناك إلى ورقلة والأغواط في محاولة لاستعادتها[4]، لكن الأوان كان قد فات فالقوات الفرنسية كانت قد أحكمت سيطرتها على الوضع، كما أن الكثير من أتباعه قد تخلوا عنه. فبقي بدون نشاط ثوري يذكر وبدأت قواه تتراجع وتنهار، وقد أوكل أمره هذه المرة إلى الباشاغا بوبكر ولد سي حمزة ولد سيدي الشيخ بمطاردته وتتبعه، هذا الأخير الذي تولى الزعامة بعد وفاة والده في 1861م بلقب الباشاغا حيث كلفه الفرنسيَون في سبتمبر 1861م، بملاحقة الشريف محمد بن عبد الله الذي عاد للمقاومة، وتجهز على رأس قوة معتبرة، وصل بها إلى متليلي في

---

[1]- زوزو عبد الحميد ، مجلة الأصالة ، المجلد 16 ، ص 115 .

[2]- بدأت فرنسا تفكر في إنشاء مشاريع للمواصلات، فقد برز المهندس أدولف دوبونشيل الذي إهتم سنة 1858م، بدراسة مشاريع المواصلات الحديدية، متأثرا بالتوسع الإستعماري الإنجليزي في إفريقيا وإقترح دوريان إنشاء خط من وهران إلى التوات عبر تلمسان، وسبدو والعريشة وعين سفيسفة ونخلة إبراهيم. ينظر : عبد الحميد زوزو ، مع تاريخ الجزائر مع الملتقيات الدولية والوطنية ، المرجع السابق ، ص ص 94 ، 95 .

[3]- منطقة توات : إقليم بالجنوب الصحراوي .

[4]- Charles Ferroud . « Ben Djellab … » R A .Op .Cit . p 431 .

سبتمبر 1861م، وعند وصوله شرع أبو بكر بن حمزة في ملاحقته وتتبع آثاره في الرمال الصحراوية مع أتباعه التوارق لتقوم في الأخير معركة طاحنة بين الطرفين أسحقت فيها قوات محمد بن عبد الله نظرا لعدم توازن القوى فحوصرت قواته وأصبحت تعاني الجوع والعطش الأمر الذي دفعها للتخلي عنه وفي مقدمتها الشعانبة الذين استسلموا وطلبوا الأمان[1]، أما الشريف محمد بن عبد الله فلم يستسلم وبقي معتصما في العرق حيث حاصرته قوات أبو بكر في العرق الغربي بين بوسروال وقرن الحاج، فتمكن من اعتقاله أواخر عام 1861م، وسلمه إلى السلطات الفرنسية، التي حملته إلى وهران ومن هناك إلى جزيرة كورسيكا[2]، حيث ظل سجينا، والبعض يقولون أنه نفي وفرضت عليه الإقامة الجبرية في سجن عسكري بجنوب فرنسا بساحة دوبيريقون Deperigon[3] ، ثم نقل إلى سجن عنابة بعد أن داهمه المرض، ويذكر لنا إسكير Esquer أن الشريف محمد بن عبد الله قد سجن في بربينيو Perpinau، ثم نقل إلى قسنطينة دون تحديد للتاريخ[4]. لا توجد لدينا معلومات حول المدة التي قضاها في السجن والإقامة الجبرية بفرنسا، ولا متى أطلق سراحه بالضبط، ولا الوجهة التي قصدها بعد ذلك. لكن المعلوم لدينا أنه ظهر في ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م، أي أن مدة السجن كانت قصيرة.

---

[1]- فاطمة حباش ، المرجع السابق ، ص42

[2]- سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق ، ص 362 .

[3]- Trumelet .Op . Cit .pp 99 . 100 .

[4] - Esquer . « un Rival … » R. A .Op . Cit . p 438 .

المبحث الرابع : المسيرة النضالية لمحمد بن عبد الله بعد نهاية ثورته

إن صفحة المقاومة عند محمد بن عبد الله لم تطوى باعتقاله، ولم تنطفئ عنده شعلة النضال بمجرد نفيه من أرض وطنه، فسرعان ما عاود ظهوره في صفوف المجاهدين، فلا ندري متى أطلق سراحه بالضبط، كما لا ندري أين ذهب بعد ذلك، ولكن المهم لدينا أنه ظهر بالجزائر بعد انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م، وانضم إلى قائد ثورتها سي الأعلى[1]، الذي حمل لواء المقاومة ضد الفرنسيَين، وبقي معه مدة من الزمن يخوض غمار المعارك، فقد كانت آخر معركة له مع أولاد سيدي الشيخ هي معركة دبداب في شهر فبراير 1869م، قبل أن يختلف مع بعض زعاماتها ويقرر الانسحاب إلى تونس[2] . وعند اندلاع ثورة المقراني والشيخ الحداد عام 1871م، عاد إلى الجزائر واتصل برفقائه القدماء ابن الناصر بن شهرة الذي كان متواجدا بتوقرت، وبوشوشة[3] الذي اعتصم في ورقلة فحاول التنسيق معهم من أجل تكوين ثالوث قوي للمقاومة، لكن الرياسة كانت في ذلك الوقت لبشوشة بصورة عفوية[4] ولهذا صعبت مهمة التنسيق وأصبح ضعيفا بينهم، مما جعل محاولته تكون فاشلة، وفي يوم 10 سبتمبر من نفس السنة اشترك محمد بن عبد الله مع أولاد خليفة في مهاجمة واحة

---

[1]- **سيدي الأعلى**:ينحدر من عائلة أولاد سيدي الشيخ ولد سنة 1819م، تولى منصب الأغوية على منطقة ورقلة مدة عامين (1862م، 1864م) ثم ثار ضد السلطات الفرنسية واعتبر القائد العسكري الأعلى لثورة أولاد سيدي الشيخ ، وقد توفي عام 1896 م ، ينظر:فاطمة حباش،المرجع السابق ص 11 .

[2]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر خلال القرنين 19و20 .المرجع السابق، ، ص 158 .

[3]- **بوشوشة** : يدعى أمحمد بن التومي بن إبراهيم، ولد بقرية الغيشة مطلع القرن 19، إندلعت مقاومته عام 1869 عندما تمركز بعين صالح وأعلن نفسه شريفا فبايعه الشعابنة وورقلة وزاد نفوذه، إمتدت مقاومته حتى سنة 1874م، حيث ألقي القبض عليه في ماري 1874م بمعركة الميلوك جنوب عين صالح، وصدر في حقه الحكم بالإعدام ونفذ يوم 29 جوان 1875 بمعسكر الزيتونة بقسنطينة، ينظر: فاطمة حباش، المرجع السابق، ص 109 .

[4]- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 2 ، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 75 .

ليانة بالزاب الشرقي، وجرحوا شيخها وقتلوا رجلين، ومن هناك عبروا عبر الحدود إلى نقطة حيث التقى هناك بثوار من أولاد سيدي عبيد وغيرهم فعاودوا الدخول إلى الجزائر، وقادهم الشريف محمد بن عبد الله يوم 20 سبتمبر إلى بلدة نقرين فاقتحموها، وأعلن بن عبد الله للناس بأنه مبعوث من الله لتحرير بلادهم الجزائر من الاحتلال الفرنسي وفي يوم 26 سبتمبر، عسكر مع أتباعه في جبل ووق oug، وهاجم يوم 28 سكان العلاونة الذين كانوا يعارضون حركته فاستطاعوا اللجوء إلى جبل الجرف، وفي يوم 30 سبتمبر خاض معركة الركيز ضد القوات الفرنسية وهزمها، وقضى على معظم جنودها إلى أن تدخل النجدات السريعة التي استطاعت استدراك الموقف، لذا انسحب من المواجهة، إتجه إلى بئر العليق، حيث وافاه هناك أتباعه من زاوية سيدي عبيد ليدعموا حركته بمزيد من الأنصار، فبايعوه وهنئوه على انتصاره الساحق، ومن هناك تقدم إلى جبل دابي وانضم إليه عدد من أهالي أولاد رشاش، وسكان جبل سشار وبنو معفة، وكانت من أهم الشخصيات التي انضمت إليه عمر بن مسعود الكوماتي الذي تزعم حركة نضالية في جبل مسنيوة بالأوراس إبتداءا من سنة 1867م، وفي ظاهر الأمر تبدو لنا كل هذه الدعائم في صالح محمد بن عبد الله لإعادة إحياء شرارة الثورة، ولكن فشل المقرانيَين في الشمال ومحمي الدين بن الأمير عبد القادر والصبايحية[1]، بمنطقة الحدود جعل الأمر يصعب أكثر ويبدوا كمغامرة نهايتها مأساوية، حيث قرر التراجع وإيقاف معظم مخططاته[2] وغادر معسكره يوم 12 أكتوبر 1871م، واتجه إلى وادي بودوخان، ومن هناك إلى منطقة الكاف

---

[1]- **الصبايحية** : هم متطوعين جزائريَين في الجيش الفرنسي، تمثلت مهمتهم في الجوسسة ومراقبة الأهالي والمشاركة في قمع التمردات والثورات مقابل رواتب شهرية، وإمتيازات كإستغلال الأراضي ويعود إحداثها إلى سنتي 1831 - 1832م، وتعود اصولها إلى العهد العثماني، عرفوا بفرسان المخزن وعلى العموم فقد ثارت هذه الفئة وأعلنت تمردها نتيجة لتهميشها من طرف السلطات الفرنسية في منتصف القرن 19م ، ينظر : فاطمة حباش ، المرجع السابق ، ص 39

[2]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص 124 .

التونسية، بعد أن ضعف أمره وقل أتباعه بسبب الظروف الصعبة، فاستقر بقرية العوينة بمعتمدية دوز في نفزاوة بالمزاريق جنوب تونس، وفي هذه الأثناء التجأت إليه جماعة من الناس بقيادة حميد الطرودي السوفي[1] ، أين كانوا في طريقهم إلى تونس حيث تعرضوا لقائد وادي سوف المدعو العربي المملوك[2]، الذي كان وعائلته في إجازة فقتلوه وزوجته، واستولوا على كل أمتعته، بعدها دخلوا إلى تونس ونزلوا عند محمد بن عبد الله بالعوينة، لا نعلم إن كان بن عبد الله على علم بالمخطط مسبقا أم لا ؟ وإن كان له دور في هذه الحادثة خصوصا وأن العربي المملوك له سوابق سيئة مع الجزائريَين، خصوصا وأن صديق بن عبد الله يدعى محمد الصغير بن عبد الرحمان وجه له رسالة إليه يطلب فيه أن يستضيف أولئك الناس، وأن يحتفظ بتلك الأشياء التي حملوها معهم كوديعة عنده، مما يدل على أن محمد الصغير كان على علم بالقضية. إن لم يكن هو المحرض الأساسي لها، وفور علم السلطات الفرنسية بمقتل العربي المملوك بتونس إحتجت بقوة لدى باي تونس، وطالبته بالقبض عليهم وتسليمهم إليها، وبعد ثلاث سنوات من التحقيق علمت الحكومة التونسية، بوجود هؤلاء القتلة الفارين بالمرازيق وأنهم تحت حماية الشريف بن عبد الله، فأرسلت فرقة عسكرية سريا إلى كاهية نفزاوة أحمد بن حمادي طالبته بالبحث عنهم وعن الأمتعة التي إستولا عليها فركب ربيع عام 1876م على رأس قوة قدرت حوالي خمسين فارسا، أين هاجموا منزله في غيابه ووجدوا به أمتعة العربي المملوك التي كان يحتفظ بها

---

[1]- نفسه ، ص 124 .

[2]- **العربي المملوك** : أحد اعوان الفرنسيين من فرقة الصبايحية، من أصل إيطالي إرتد عن دينه المسيحي شارك في الحملات الفرنسية ضد محمد بن عبد الله ن وفي نهاية سنة 1871م، أعاد الفرنسيون التنظيم الإداري للصحراء فعيَن العربي المملوك قائدا على وادي سوف، لم تكن سياسته لينة مع الجزائريين فكان يعاملهم بقسوة وغطرسة، تمت تصفيته في 1873م ، ينظر: يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 125 .

كأمانة لصديقه محمد الصغير فاستباحوا منزله، ونهبوا كل ما فيه من أمتعة وحبوب وحلي وأصواف وغيرها[1].

وفي هذه الأثناء وصل الخبر إلى محمد بن عبد الله الذي كان يتواجد في بوفليجة حيث كان يقضي الربيع بأغنامه وعائلته، فعلم أنهم سيعملون على اعتقاله، فرحل إلى أولاد دباب قرب حدود ليبيا في تطاوين، وإستقر في وادي داغس[2] فإضطر كاهية نفزاوة إلى استعمال الحيلة لإلقاء القبض عليه. فاتجه إليه وادعى بأنه يريد منه أن يتوسط لإزالة الخلاف الموجود بينه وبين أولاد دباب الذين يقيم عندهم خصوصا بعد إلقاء القبض على بعض الرجال من الذين لجأوا إليه وتسليمهم إلى السلطات الفرنسية، فأقنعته بأن القضية انتهت فانطلت الحيلة عليه، وذهب مع الكاهية إلى حي أولاد شهيدة، فاعتقلته هناك وأسرع به إلى نفزاوة حيث أعتقل هناك لعدة شهور، إلى أن تدخل لصالحه عامل إقليم نفات علي بن خليفة لدى الباي فأطلق سراحه وأخذه إليه تحت كفالته على ألا يقوم بأي نشاط سياسي وعندما عين علي بن خليفة عاملا على إقليم الأعراض وخلفه بنفات إبراهيم الجويني، عطفا على محمد بن عبد الله فتعاونا معا لدى الباي الذي قرر رفع الإقامة الجبرية عنه ليعود إلى بيته بقرية العوينة ويعيش عيشة متواضعة، وبعد هذه المرحلة نجد اختلافا في بعض المراجع حول مصير محمد بن عبد الله خصوصا بعد الاحتلال الفرنسي لتونس سنة 1881 م[3].

فحسب يحي بوعزيز يذكر أن محمد بن عبد الله غادر قريته إلى الحدود الشرقية الجنوبية بمحاذاة طرابلس الغرب مدة، ثم عاد مع باقي المهاجرين إلى الجنوب

---

[1]- نفسه ، ص 126 .

[2]- عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص 523 .

[3]- يحي بوعزيز، المرجع السابق ، ص 127 .

التونسي وأخذ ينتقل بين بوفليجة والجفارة بالصحراء إلى أن توفي سنة 1895م فنقلت جثته إلى قرية الدوز التي دفن بها[1] .

أما رشيد لضفار فيذكر لنا أن محمد بن عبد الله قد رجع إلى الجزائر بعد احتلال تونس فدخل ورقلة، وأنه أصبح يمثل ويجسد روح المقاومة الوطنية، هذا ما جعل السطات الفرنسية تتخوف منه كونه يشكل الخطر الدائم عليها فأعدت له مكيدة للتخلص منه لكنها فشلت، واستطاع هذا الأخير التوجه جنوبا[2]، نحو إقليم توات مع بعض أتباعه وعند رصد السلطات الفرنسية لمكانه أرسلت حاميتها المتمركزة ببني عباس للحاق به وتصفيته، فتواجه محمد بن عبد الله بأتباعه مع الجنود الفرنسيَين في معركة عرق الحميرة بشروين ناحية تيميمون سنة 1901م والتي ستكون آخر معركة يخوضها فقد سقط شهيدا في أرض المعركة، ويقول لنا رشيد لضفار أن أتباعه عملوا على نقل جثته إلى زاوية الرويسات حيث دفن بها[3].

---

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20 م ، المرجع السابق ، ص 162 .

[2]- رشيد لضفار ، مرجع سابق ، ص 3 .

[3]- نفسه ، ص 3 .

تعتبر الفترة التي تعامل فيها الشريف محمد بن عبد الله مع الفرنسيين فترة مهمة في حياته، فاصطدامه بالواقع مثل له الصحوة الحقيقة لبدأ المسيرة النضالية ضد أعداء الدين و الوطن، فنظرا للمكانة الدينية التي حضي بها محمد بن عبد الله بين أهالي تلمسان، كان من الصعب على الفرنسيين أن يؤمنوه على أنفسهم، وبقي مبدأ الشك قائما لديهم حول شخصه، فعند خروجه عن طاعتهم عمل على جعل نشاطه يرتكز على أساس متين يضمن له مكانة تجعله يحضا بدعم والتأييد وسط الأهالي هذا ما جعل ثورته تبرز بمنطقة ورقلة وضواحيها وتتمتع بمميزات وخصائص كان أهمها:

_ المباركة الدينية والدعم العثماني للثورة، فقد لقي الشريف محمد بن عبد الله الرعاية التامة والدعم الكامل من شيخ الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي، الذي كان على علاقة وطيدة بالعثمانيين والذين لم يعترفوا بالاحتلال الفرنسي للجزائر إلا سنة 1847م. كما انتقال محمد بن عبد الله إلى طرابلس مع حاكمها عزت باشا واستضافته له في منزله يفسر لنا هذا الدعم وحتى شيخ الطريقة السنوسية لم يدخر أي جهد، فقد عمل على مراسلة أقوى الزعامات في المنطقة الجنوبية للصحراء أمثال: المرابطة لالة الزهرة، وزعيم المخادمة عبد الله ابن خالد اللذين عملا على تولية بن عبد الله للحكم وإعلانه سلطانا على ورقلة سنة 1851م.

_ انتشار حسه النضالي والروحي خارج الجزائر باتجاه ليبيا وتونس خاصة. فقد كانت تحضيراته الأولى قبل 1852م في ليبيا. وفي فترات الضعف

والتراجع كانت الأراضي التونسية مسرحا لمواصلة نشاطه الثوري ضد الفرنسيين.

_ اعتمد الشريف محمد بن عبد الله في ثورته على العامل الديني والروحي لنشر الحماس النضالي بين القبائل ودعوتها للجهاد المقدس.

_ تميز نشاطه بوجود زعامات ثورية أخرى ذات مكانة سياسية ودينية منها: النعيمي بن بوبكر من أولاد سيدي الشيخ، وبن الناصر ابن شهرة من كبار أعيان قبيلة الأرباع اللذان أعطا دفعا قويا للثورة.

_ تلقيه الدعم من الشخصيات النافذة والمؤثرة في منطقة ورقلة وما جاورها، الأمر الذي ساعده في الحصول على المزيد من الأتباع والأسلحة والمؤن.

_ مساندة القبائل ذات النفوذ الديني والسياسي له مثل: قبيلتي المخادمة والشعانبة وغيرهم كثيرون الذين كانوا في الصفوف الأمامية للثورة، وأمدوها بالقوة التي كانت حافزا لمواصلة النضال.

_ لم يكتف بن عبد الله في استغلال العامل الديني ودعم الزعامات والقبائل فقط بل استغل عامل الخلافات بين الواحات مثل: نقوسه وورقلة. وحتى الصراعات العائلية حول الحكم مثل: أسرة بني جلاب الأمر الذي أكسبه المزيد من الحلفاء الاستراتيجيين في المنطقة وزاد من أتباعه، مما سمح له في توسيع نطاق الثورة وتقوية نفوذه.

_ اعتمد الشريف محمد بن عبد الله في استراتيجيته الحربية على إخضاع القبائل المعارضة له قبل الهجوم على الفرنسيين، وذلك من أجل الحصول على

المؤن والذخيرة مثل: قبيلة أولاد مولات وقبيلة أولاد يعقوب حيث غزاهم محمد بن عبد الله وأتباعه و أجبروهم على دفع الضريبة، ولعله شبه الأمير عبد القادر في تبني هذه السياسة.

_ توسيع نطاق الثورة بالتوسع شمالا باتجاه الأغواط بهدف كسب المزيد من الأتباع ولمحاصرة المد الاستعماري نحو الجنوب.

_ ارتكزت سياسته الحربية على التباين بين المواجهة المباشرة مع الفرنسيين في معارك أثناء مرحلة القوة كمعركة الأغواط في ديسمبر 1852م والمواجهات الغير مباشرة أوما بما تعرف بحرب العصابات في مرحلة الضعف بالاعتماد على الهجوم المفاجئ والمباغتة العدو مثلما حدث بعد انسحابه من ورقلة منتصف سنة 1854.

_ خلق قواعد الخلفية للثورة، والتي استعملها الشريف محمد للانسحاب في حالة التراجع، وللتحضير من جديد ومن أهمها نجد الجريد التونسي الذي كان الضمان لمواصلة الثورة.

_ ما ورد حول نشاط محمد بن عبد الله من خصائص ومميزات تدخل ضمن النقاط الإيجابية التي خدمت الثورة، والتي قابلتها نقاط سلبية أخرى أثرت عليها وكانت سببا في تراجعها، وكان للفرنسيين دور عظيم فيها:

_ عدم التكافؤ بين الجيش الفرنسي والثوار من ناحية السلاح والذخيرة وإنعدام مصادرها، حيث عمل الفرنسيين على محاصرة وخنق الثورة. فقد كانوا يحصلون في كل مرة على الدعم المادي والبشري من مختلف المراكز العسكرية الشرقية كقسنطينة وبسكره والغربية كالبيض، مما انعكس سلبا وأرهق الثوار.

_ إدراك الفرنسيين لاستراتيجية الثورة، واكتسابهم الخبرة والتجربة في المواجهة بالمناطق الصحراوية، خصوصا بعد معركة الأغواط التي تعلم منها الفرنسيون كيف يحتلون المواقع الاستراتيجية بالصحراء.

_ توصل الفرنسيون إلى أهمية الاستعانة بالزعامات المحلية ذات النفوذ السياسي والديني لضرب الثورة، كما كان الشأن مع سي حمزة بن بوبكر الصغير وعائلته الذين ساهموا في مطاردة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء وإلقاء القبض عليه سنة 1861م.

_ البطش والنهب الذي مارسه الفرنسيون على أنصار الثورة من القبائل والموالين وحتى السكان الذين لاذنب لهم، والضغط عليهم باستغلال نقاط الضعف عندهم، مثلما حدث مع بني ميزاب الذين منع عنهم راندون شراء الحبوب من التل بسبب دعمهم للثورة. فهذه الحالة سببت لهم اليأس، حيث تراجع نشاطهم التجاري إلى طلب الأمان وعدم دعم الثورة.

_ الضغط الفرنسي على بايات تونس لطرد محمد بن عبد الله من أقاليمهم حتى لا يتركوا له فرصة لاسترجاع قواه، وتجديد نشاطه الثوري.

_ استغل الفرنسيون تراجع بن عبد الله إلى تونس للقيام بمشاريع سياسية واقتصادية لتطويق المنطقة وفرض الأمن بها.

_ ومع نهاية ثورة محمد بن عبد الله سنة 1861م. بقيت أهم ميزة ميزت شخصية هذا الرجل هي استمرارية حسه النضالي بحيث لم تتراجع الروح الجهادية عنده ولم تنطفئ مع نهاية ثورته، بل استمرت وتواصلت بعدها متخذة عدة أشكال أولها المساعدة والدعم الذي أبداه لكل الثورات التي عاصرها وشارك

فيها كثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م والشريف بوشوشة سنة 1869م. وثانيا من خلال الدفع بأتباعه ودعوتهم لتأييد الثورات القائمة ضد الفرنسيين ومواصلة النضال ضدهم رغم غيابه.

الملحق01: رسالة محمد بن عبد الله إلى الملك الفرنسي لويس فليب سنة 1841.
[1]

sujet et c'est lui qui vint me trouver avec Mustapha à Dar el Beidha (la Maison Blanche). Je lui demandai des goums et de l'infanterie et lui dis : « Nous irons d'abord à Tlemcen, parce que là sont les bureaux d'affaires (?) des Beni-Amra, des Ghosl et des Gharbia. Tous viendront vers nous, par la puissance d'Allah. Pas un ne nous fera de mal, ni par la guerre, ni autrement. » Le maréchal se rangea à mon avis. Nous allâmes à Tlemcen avec Mustapha et, étant entrés dans la ville, nous y restâmes quelques jours, puis nous nous dirigeâmes vers les tribus. Et voilà que vinrent vers nous les gens des Angad, les Arabes nomades du Sahara, toutes les tribus sédentaires, les Beni-Amra et jusqu'aux Ahrar. Ils vinrent à nous, sans hésitation, sans peine et sans aucune perte d'hommes pour nous.

« Pour moi, lorsque j'apparus en face d'El-Hadj Abd el Qâder, grâce au pouvoir d'Allah, son autorité se désagrégea de l'Est à l'Ouest à cause de notre entière franchise et de la pureté de nos cœurs. Il n'y eut parmi nous aucune trahison (Allâh observe ce que les cœurs recèlent). Puis, les tribus s'étant mises en route, je donnai l'aman à chacune d'elles dans l'étendue de son territoire et elles restèrent servant sous mes ordres.

« Alors El-Hadj Abd el Qâder écrivit de sa propre main aux Beni-Amra, leur disant : « Si vous êtes liés avec moi par la parole et par l'amitié, dérobez-vous à l'autorité des Français et ne demeurez pas sous celle de Ben Abd Allah, parce qu'il a détruit la mienne et a fait entrer les Français dans votre pays ». Beaucoup de gens prêtèrent l'oreille à ses discours ; ils rompirent avec moi, me vouèrent de la haine et me couvrirent d'injures à cause de vous. Maintenant ils sont devenus ses partisans, tout en étant à mon service. Ils feignent d'être sincères et dissimulent la trahison. Je ne peux sévir contre eux, à cause des propos d'apparente sincérité qu'ils prodiguent à vos subordonnés ; mais, en agissant avec traîtrise, ils ont détruit mon autorité ; on ne me craint en aucune façon, ils se jouent de moi.

« El Hadj Abd el Qâder correspond avec ses partisans que je vous ai mentionnés et leur dit : « Brouillez Ben Abd Allâh avec les chrétiens, afin qu'il perde le crédit qu'il a auprès d'eux, et les Arabes vous reviendront ». Et voilà l'autorité perdue. En effet, l'année passée était meilleure que l'heure présente ; mais je vous ai rendu service et je vous ai gagné cinquante-cinq tribus sans difficulté et sans aucune perte

[1]_ Esqure. RA. Op. Cit. P. 432.

رسالة محمد بن عبد الله للملك الفرنسي لويس فليب 1841م .

الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا وجهه من عبد ربه سبحان ربي محمد بن عبد الله ولد سيدي الشيخ الى عظيم سلطان الفرانصة هومعلوم بالسياسة و الرياسة و معلوم بالفضل و الفطانة جعله الله في البر و البحر مشهور ، وفي احكامه مذكور، وعلى جيوشه منصور ثم بعد السلام عيكم، وبعد فإقامة منا بيننا بخير وعافية و الحمد الله على عمارة البلاد، و مهادنة الوطن ،و نعلمك من اقامه الله امتنعت كبار الغريبه و الغسل و بن عامرة وقالو الى قوم نجعلك به موقع الحاج عبد القادر لانه ليس يصلح بنا و يخدم الظلم و الجور، و هو.... يبحث عن قلب البلاد وانا عبد الله اشرت عليهم وقلت لهم نجعل الصلح بيننا وبين الفرانصة، وقبلو بهذا الشرط ثم بعد ..... وطلبت الملاقات مع المرشال حاكم الجزائر، وبعث له.....و قدم هو عندنا وتلاقيت معه ومصطفى في الدار البيضاء وطلبت منه القوم والعسكر وقلت له فقدموا لتلمسان لانه كاتب بنو عامرة والغسل ..... فهاهم عندي والناس مهابه الينا بقدرة الله ولا يضر بنا احد بالبارود ولا..... واحتد راي الماريشال وسرنا الى تلمسان، ومصطفى بن اسماعيل، وسرنا للمدينة وبقينا فيها اياما .... وتراع ما روا الينا اهل انقاد والعرب التجار والقبائل كلهم وبنوا عامرة حتى..... سارو الينا من غير مشقة ولا تعب ، وأقام لنا شتى ..... ظهرت انا للحاج عبد القادر .... عليه الملك شرقا و غربا ، فبقدرة الله .... بكثرة نيتنا وقلوبنا صافية تخدم ما به..... قام الحاج عبد القادر كتب بيده لبنو عامرة، وقال لهم اكتبو على المحبة والعهد بيننا ، ارفعوا النصيحة ، ويخفون الخديعة، ولا نقدر لكم ببيع المحبة و العهد بيننا ارفقوا على يد الفرانصيص ولا نكون على يد بن عبد الله ...

على الملك ، ودخل الفرانصيص بلادكم و كثير من الناس سمعو لكلامه ورفعو علينا ....ليسو فينا ....وهاهم الان يخدمو عندنا و لكن يظهرو النصيحة، ويخفون الخديعة، ولا نقدر لكم .... من كثرة .... بالنصيحة مع خدامك وهنا ينشون معهم بالخديعة لك. ويقول له .. بن عبد الله والنصر من ينصر الحكم عليهم يرفعو الينا العرب ، وما بعد الحكم .... لان السنة الماضة افضل من هذه الساعة و يكن انا فقلت معكم الخير وسرت لكم خمسة و خمسين قبيلة بلا مشقة ولا ضاع شيء لكم ونحب لكم .... ونحب عندكم الكلمة الكلمة تكون مسموعة عند العرب ولنا المعيشة لن نطلبها ابدا لان المعيشة بلا عز لهم إلا الذل ولاحتقار فبالله ولو تكون عندنا الف بليون حتى نشرع بها الغزو فبقى انا..... لان اسلافنا كانو ملوك العرب، وكانو يحكمون بلاد نبينا و فتحو الشام

وكانو يحكمون في بلاد سنين ولكن سيد علينا من بعدنا اهل والكثرة ننعم، ومن المسلمين ولكن ترد لنا الجواب و تبعث طابعك لنا .... والحرمة تستوفي خدامك الذي معنا يجعل لنا العزوة و لا يطيح كلامنا ، نحكم في من مذ الكبار يوافينا فيه مثل الملوك الاول وكانو يخافون منهم خوفا كثيرا و لكن نحكم ببيع بالحق....

الذى فعلته لنا فحكم ثاني دور ..... لانكم بنو العرب مهام رجعت البقر و الغنم ..

ونقلت الاخبار كلها صحيحة و لا ضيعت منها شيء ولا بد ترد علينا الجواب وكتب في اول رجب عام 1241

الملحق02: وثيقة إعلان السلطان العثماني الحرب على فرنسا وبريطانيا وتكليف سي أحمد الشريف السنوسي (بن محمد بن علي السنوسي)[1]

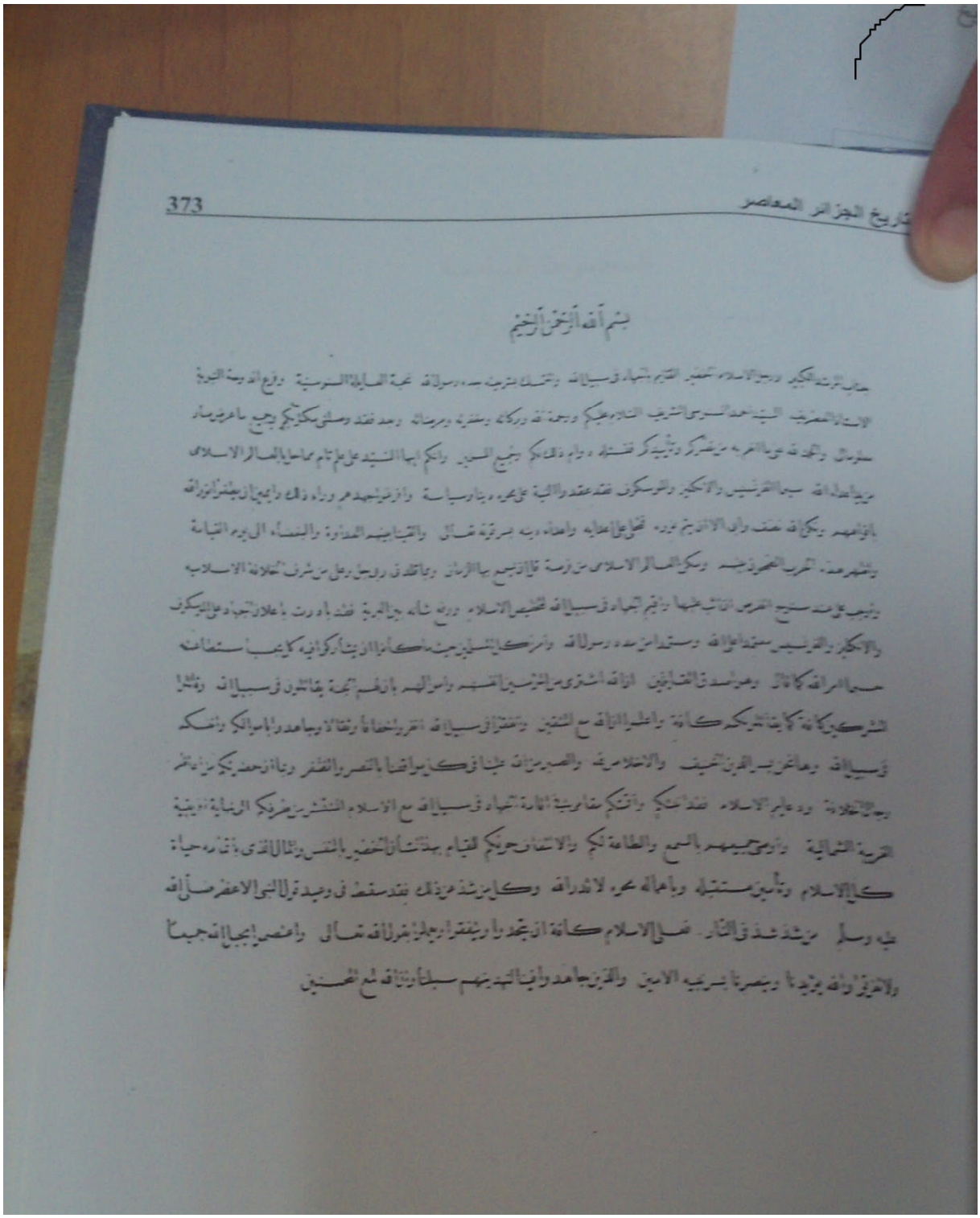

373 تاريخ الجزائر المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم

[1] _ محمد الأمين بلغيث. المرجع السابق . ص. 373.

الملحق 03: رسائل المشير أحمد باشا إلى القنصل الفرنسي بتونس حول تواجد الشريف محمد بن عبد الله بأراضي التونسية .[1]

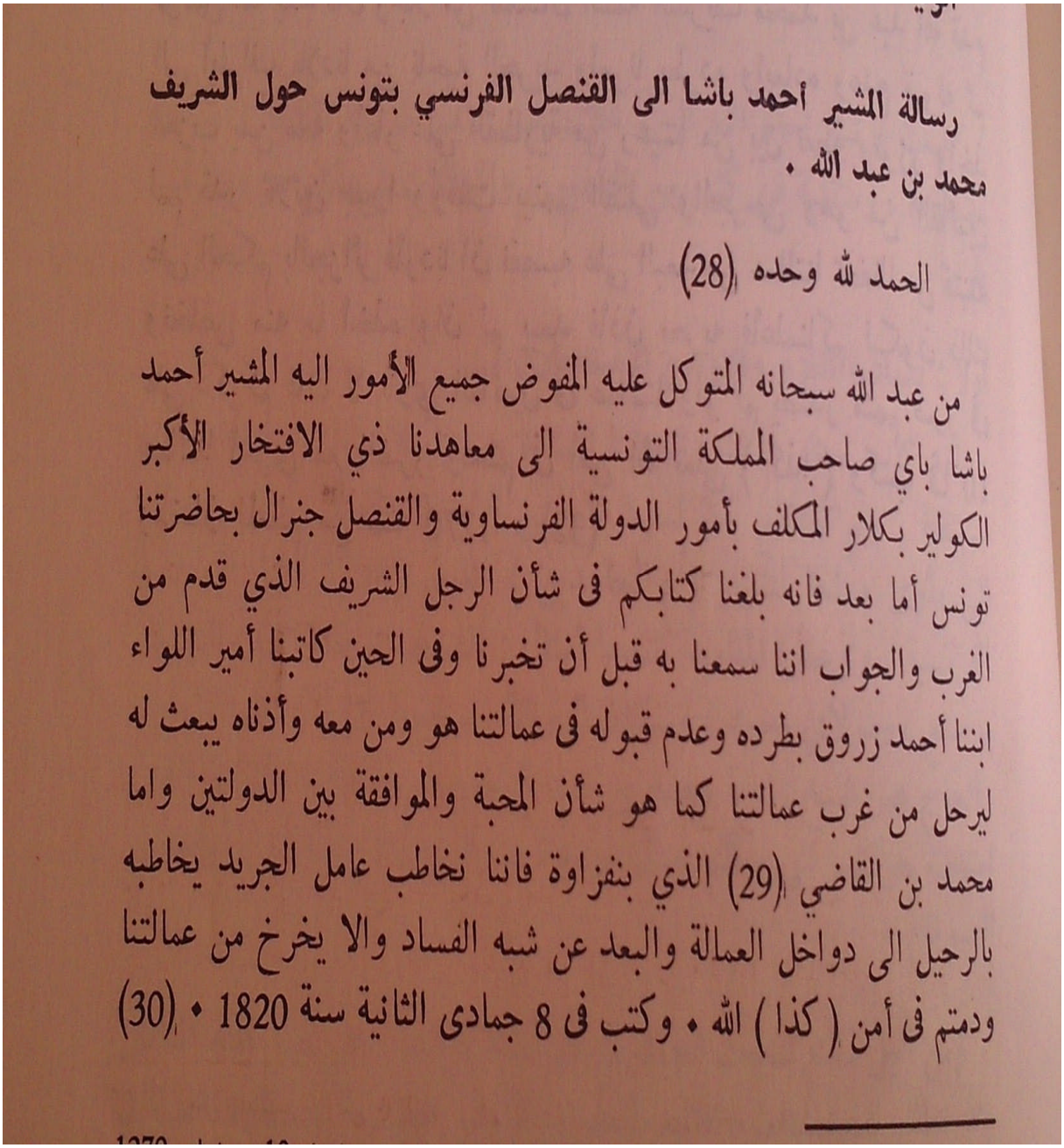

رسالة المشير أحمد باشا الى القنصل الفرنسي بتونس حول الشريف محمد بن عبد الله ٠

الحمد لله وحده (28)

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الأمور اليه المشير أحمد باشا باي صاحب المملكة التونسية الى معاهدنا ذي الافتخار الأكبر الكولير بكلار المكلف بأمور الدولة الفرنساوية والقنصل جنرال بحاضرتنا تونس أما بعد فانه بلغنا كتابكم فى شأن الرجل الشريف الذي قدم من الغرب والجواب اننا سمعنا به قبل أن تخبرنا وفى الحين كاتبنا أمير اللواء ابننا أحمد زروق بطرده وعدم قبوله فى عمالتنا هو ومن معه وأذناه يبعث له ليرحل من غرب عمالتنا كما هو شأن المحبة والموافقة بين الدولتين واما محمد بن القاضي (29) الذي بنفزاوة فاننا نخاطب عامل الجريد يخاطبه بالرحيل الى دواخل العمالة والبعد عن شبه الفساد والا يخرخ من عمالتنا ودمتم فى أمن (كذا) الله ٠ وكتب فى 8 جمادى الثانية سنة 1820 ٠ (30)

[1] _ يحي بوعزيز. كفاح الجزائر من خلال الوثائق. المرجع السابق. ص ص. 129، 130.

الوثيقة الثانيـة :

رسالة المشير أحمد باشا الى القنصل الفرنسي العام حول الشريـف محمد بن عبد الله :

الحمد لله وحده (31)

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير أحمد باشا باي صاحب المملكة التونسية الى معاهدنا ذ ي الافتخار الاكبر الكولير بكلار المكلف بأمور الدولة الفرنساوية والقنصل جنرال بحاضرتنا تونس أما بعد فان رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم الى أطراف بلادنا من ناحية الجريد وأمرنا بطرده وابعاده وعدم قبوله ثم تحزب بمن معه وأغار على القطارية من رعيتنا من بين نفطة وتوزر وأخذ لهم قدر ثلاثين بعيرا ووقعت بينهم القتلى والجرحى وهو من القائمين على الحكم بالجزائر فأردنا أن نغصبه على البعد من عمالتنا تحفظا من فتنته ونخلص منه ما أخذه وان لم يبعد فأذن بحربه فأعلمناكم ليكون ذلك على ذكركم فاننا لا نأوي القائمين فى عمالتنا ولو لم يصدر منهم ضرر فى عمالتنا أحرى مع الضرر ودمتم فى أمن الله تعلى (كذا) وكتب فى 10 رمضان المعظم من سنة 1270 . (32)

الملحق04: خرائط جغرافية توضيحية لأهم واحات ورقلة سنة 1854.[1]

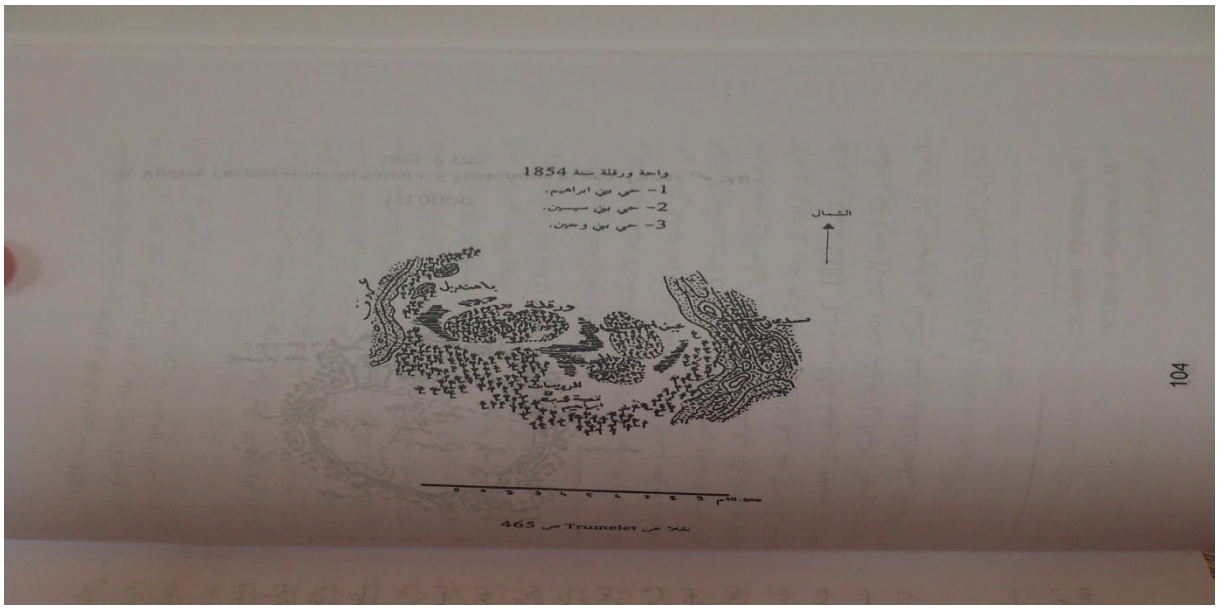

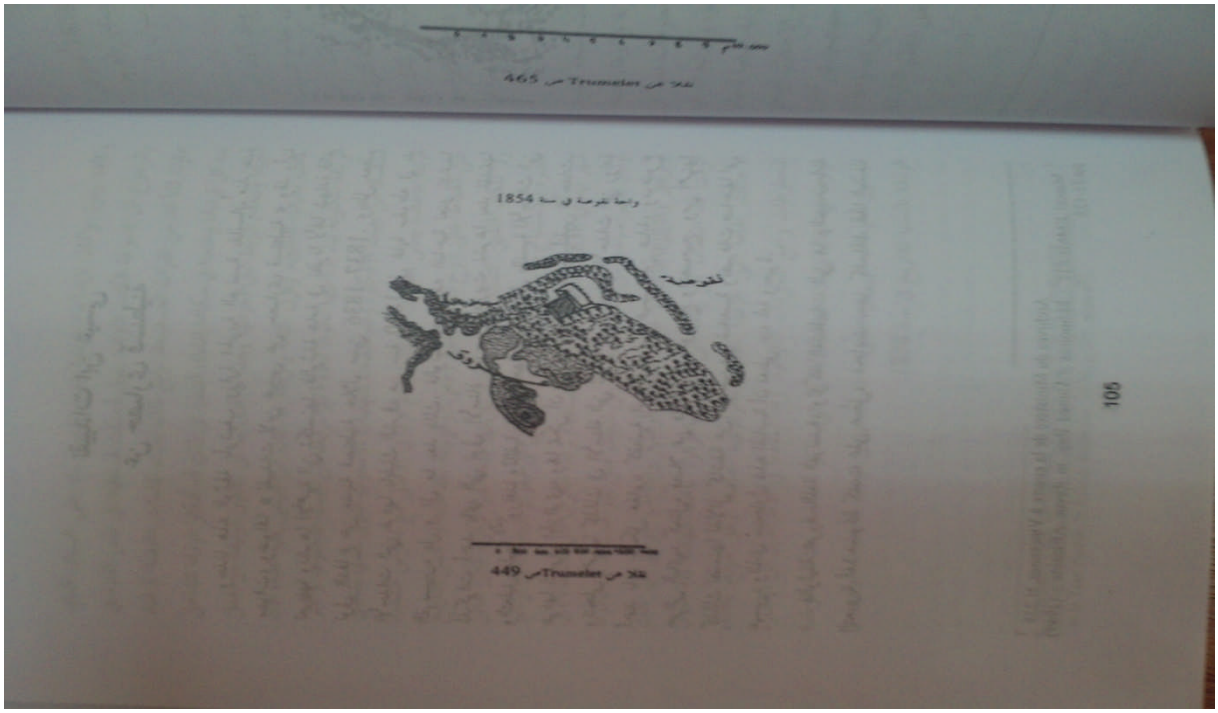

[1] _ عبد الحميد زوزو . الوضع في منطقة ورقلة قبل الاختلال الفرنسي. المرجع السابق. ص ص. 104، 105.

الملحق05: مراكز القبائل الصحراوية التى ساندت محمد بن عبد الله بورقلة .[1]

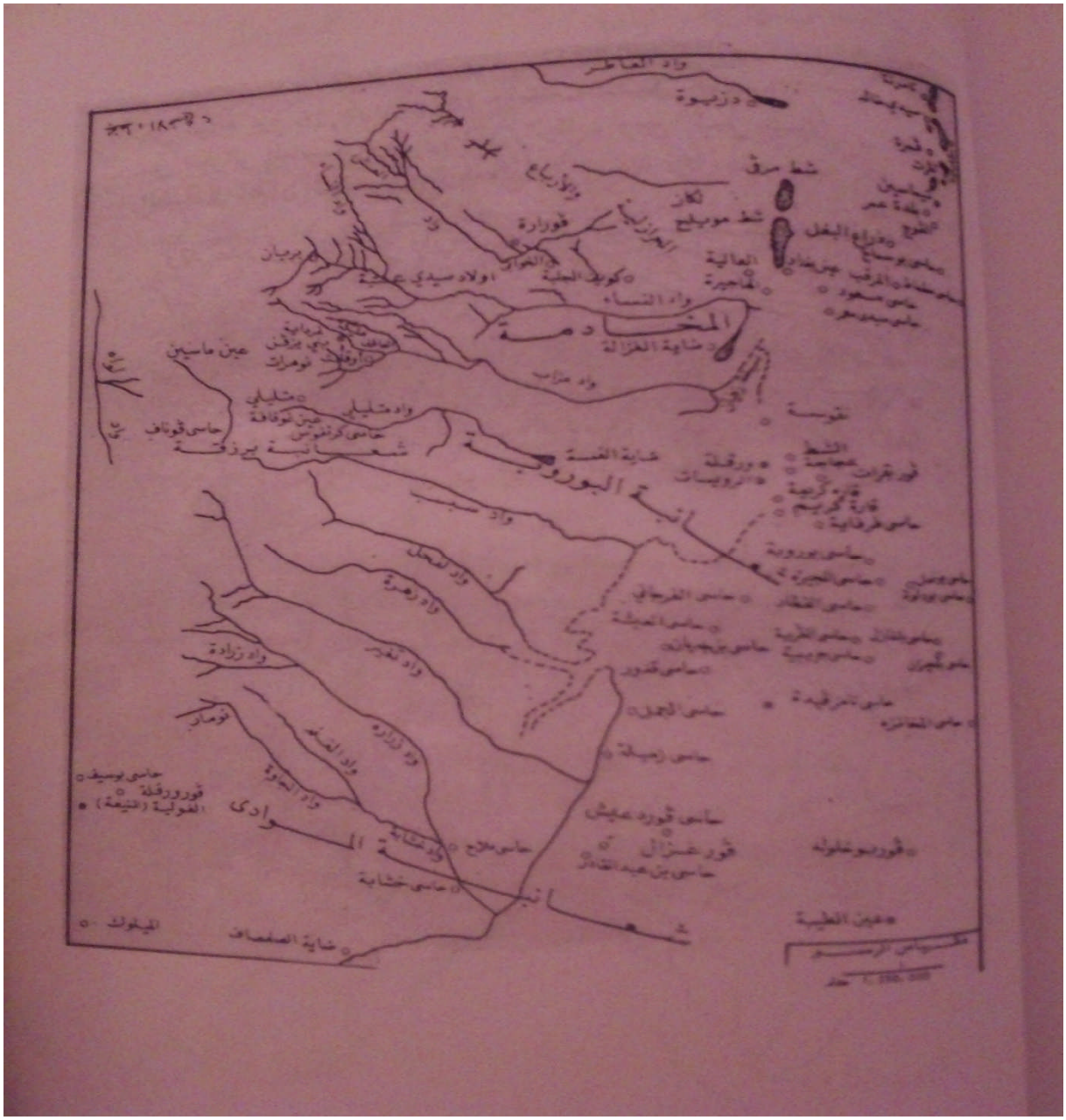

[1] فاطمة حباش . المرجع السابق . ص 124.

الملحق06: أقاليم الصحراء الشرقية وحدودها مع تونس وليبيا.[1]

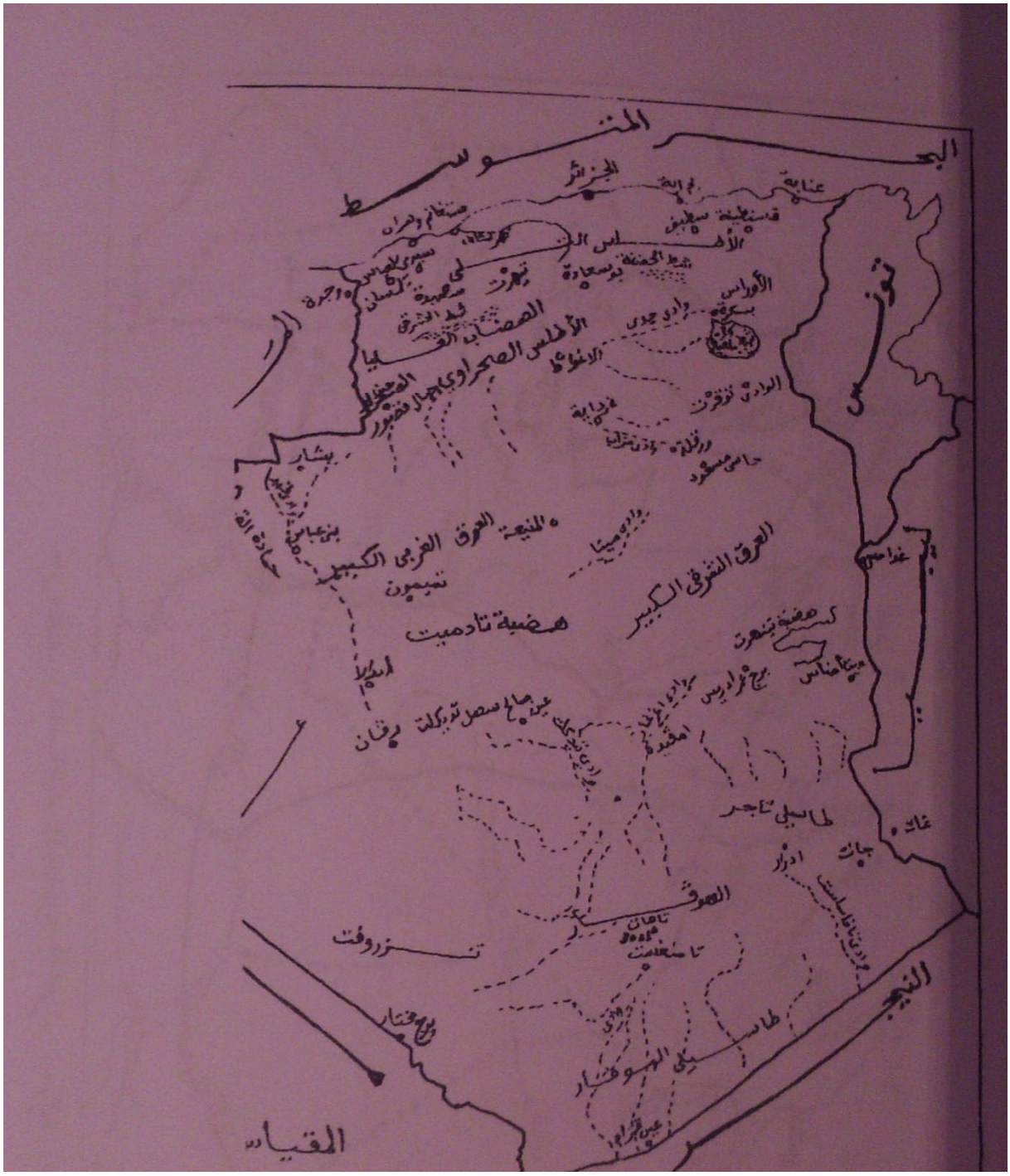

[1] ابراهيم مياسي . المرجع السابق . ص 614 .

الملحق07: صورة الزعيم الروحي و مؤسس الطريقة السنوسية محمد بن على السنوسي [1].

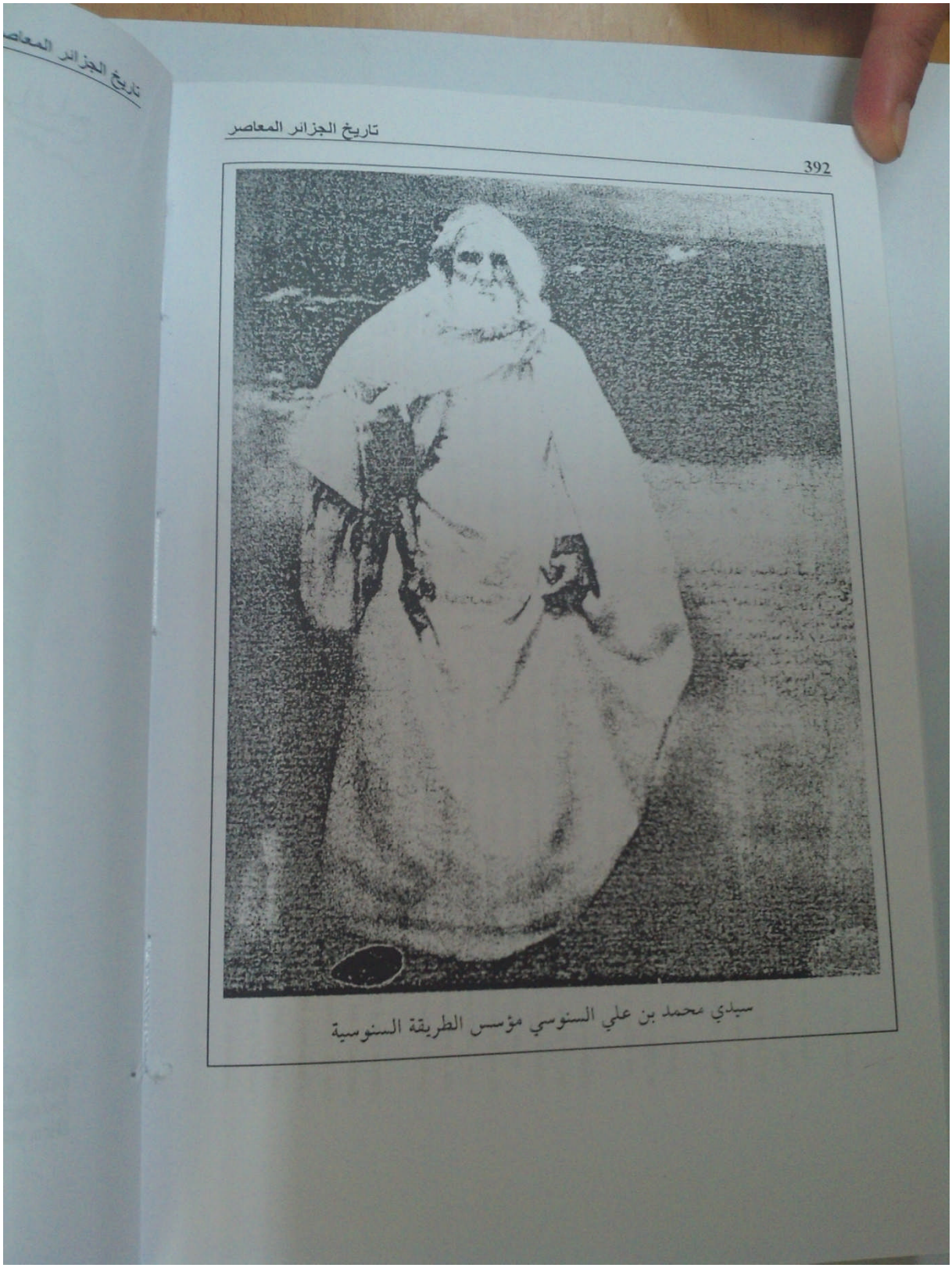

[1]= محمد الامين بلغيث . المرجع السابق. ص. 392.

قائمة الببليوغرافية

أولا المصادر:

بالعربية:

***1*_الأمير عبد القادر**. مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية. تح محمد الصغير بناني و اخرون. دار الامة. دط. الجزائر. 2010م.

***2*_ الأنصاري أحمد بك الطرابلسي**. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. مكتبة الفرجاني. دط. ليبيا. دس

***3*_ العوامر ابراهيم محمد الساسي**. الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. تعليق العوامر الجيلاني بن ابراهيم. ط2. ثالة. الجزائر. 2009م.

***4*_ محمد ابن عبد القادر الجزائري**. تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر. الجزء الأول. مطبعة التجارية عرزوزي وجاويش. القاهرة. دط. 1903م.

***5*_المزاري بن عودة**. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. الجزء الثاني. تح ودراسة يحي بوعزيز. دار الغرب الاسلامي. ط1 . بيروت. 1990م.

***6*_المناعي**. رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد بن أبي الضياف. تح الطوملى أحمد .الدار التونسية للنشر. دط . تونس. 1970 م.

بالفرنسية :

***7*_ Bidichon**. Projet d'une exploration politique commercial et scientifique d'Alger a Tombouctou par le Sahara. 1849.

***8*_ Féraud Charles**. Le Sahara de Constantine. Alger. 1887.

***9*_ Mangin**. Notes sur L'Histoire de Laghouat. Adolph Jourdan. Alger. 1895.

10_ **Narcissa Faucon**. Le livre D'Or de L'Algérie. Paris. 1889.

11_ **Pellisser**. Annales Algérienns. Resume de L'Histoire de L'Algerie de 1848 à 1854. Tome 3. Librairie militaire. Paris. 1854.

12_ **Trumelet**. Les Français dans le désert. Challamel Aine. Paris. 2 Edition. 1885.

ثانيا المراجع :

بالعربية:

13_ **التر عزيز سامح.** الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا. ترجمة: محمود علي عامر. دار النهضة العربية. ط1. بيروت. 1989م .

14_ **برونو إتيين.** الأمير عبد القادر الجزائري. ترجمة: خوري ميشيل. دار عطية للنشر. ط1. بيروت. 1998م.

15_ **بلغيث محمد الأمين.** تاريخ الجزائر المعاصر. دراسات ووثائق. دار المدني. دط. الجزائر. 2009م.

16_ **بوضرساية بوعزة.** الحاج أحمد باي في الشرق الجزائرى. رجل دولة ومقاوم (1830_1848م). دار الحكمة. دط. الجزائر. 2010م.

17_ **بوعزيز يحي.** مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية. ديوان المطبوعات الجامعية. دط . الجزائر. 1999م .

***18_*بوعزيز يحي.** ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين. الجزء الأول. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. ط2. الجزائر. دس.

19_ **بوعزيز يحي.** موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب. الجزء 2 دار الهدى. دط . الجزائر. 2009م .

***20_*بوعزيز يحي.** كفاح الجزائر من خلال الوثائق. المؤسسة الوطنية للكتاب. دط . الجزائر . 1986م .

***21*_ التليلي العجيلي.** الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881_1939م). المجلد 2. منشورات كلية الآداب. دط . منويه. 1992م.

***22*_ جاد الرب حسان.** جغرافية العالم العربي. مكتبة ومطبعة الغد. دط. القاهرة. دس.

***23*_ جوليان شارل أندري.** تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبداية الاحتلال (1827_1871م). الجزء الأول. ترجمة: عياش سلمان. دار الأمة. ط1. الجزائر. 2008م .

***24*_ الجيلالي عبد الرحمان.** تاريخ الجزائر العام. الجزء الخامس. دار الامة. دط. الجزائر. 2010م.

***25*_ حرب أديب.** التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808_1847م). الجزء الثاني. دار الرائد للكتاب. ط3. الجزائر. 2005م.

26_ **حليمي عبد القادر.** جغرافية الجزائر " طبيعية، اقتصادية وبشرية ". ط1. الجزائر. 1968م.

***27*_خليفي عبد القادر**. محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830_1962م). ديوان المطبوعات الجامعية. دط. الجزائر. 2010م .

***28*_ زوزو عبد الحميد**. محطات في تاريخ الجزائر ودراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة. المجلد7. ديوان المطبوعات الجامعية. دط . الجزائر. 2010م.

***29*_سعد الله ابو القاسم**. أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر. الجزء5. عالم المعرفة . دط. الجزائر. دس.

***30*_ سعد الله ابو القاسم.** الحركة الوطنية الجزائرية (1830_1900م). الجزء الأول. القسم الأول. عالم المعرفة. طبعة خاصة. الجزائر. 2009م .

***31*_ شريط عبد الله، الميلي محمد مبارك.** مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي. ط2 . الجزائر . 1985م .

***32*_ شكري محمد فؤاد.** السنوسية دين ودولة. دار الفكر. ط1 .دب . 1948م.

***33*_ الصلابي محمد محمد.** الحركة السنوسية في ليبيا، الإمام محمد بن على السنوسي. الجزء الأول. دار البيارق . ط1. بيروت. 1999م.

***34*_ عباد صالح.** الجزائر خلال الحكم التركي (1514_1830م). دار هومه. ط1 . الجزائر. 2007م .

***35*_ العربي منور.** تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر. دار المعرفة .دط . الجزائر. دس.

***36*_ العسيلي بسام.** الأمير عبد القادر الجزائري. دار النفائس. طبعة خاصة. بيروت. 2010م .

***37*_ العسيلي بسام.** المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي. دار النفائس. طبعة خاصة. بيروت. 2010م .

***38*_ علال محمود.** الحركة الإصلاحية في الأغواط 1916_1958م. وزارة الثقافة. دط. الجزائر. 2009م.

***39*_ عميراوي أحميدة.** من الملتقيات التاريخية الجزائرية. دار الهدى. ط1. الجزائر. 2007م .

***40*_ عميراوي أحميدة.** محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر. مطبوعات جامعة منتوري. دط . الجزائر. 1999م.

***41*_ عميراوي أحميدة وزاوية سليم.** السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1837_|1934م). دار الهدى. دط . الجزائر. 2009م.

***42*_ فيرو شارل.** الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي 1911م. ترجمة: الواقي محمد بن عبد الكريم. جامعة قان يونس. دط . بنغازي. 1994م.

***43*_ كعاك عثمان.** موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي. دار الغرب الاسلامي. دط . الجزائر. دس.

***44*_ لعروق محمد الهادي.** أطلس الجزائر والعالم. دار الهدى. دط. الجزائر. دس.

***45*_ لونيسي رابح وآخرون.** تاريخ الجزائر المعاصر (1830_1989م). الجزء الأول. دار المعرفة . دط. الجزائر. 2010م.

***46*_ مياسي إبراهيم.** من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر. ديوان المطبوعات الجامعية. دط . الجزائر. 2007م.

***47*_ مياسي إبراهيم.** الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1844_1934م). دار الهومه. دط . الجزائر. 2009م.

***48*_ يلس جلول ومقراني الحفناوي.** المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون. وزارة الثقافة. دط . الجزائر. 2007م.

بالفرنسية :

***49*_ Kaddache Mahfoud**. L'Algèrie des algériens. (De la préhistoire à 1954). EDIF. 2000.

ثالثا المقالات :

بالعربية :

***50*_ إبن أبي قصيبة أحمد** . ابن الناصر ابن شهرة احد ابطال ثورة 1871م .مجلة الأصالة. العدد 6. السنة الاولى. 1972م .

***51*_ بوعزيز يحي .** إهتمام الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من القوافل في غزوها. مجلة الأصالة. عدد خاص. الجزائر. 1979م . ص ص (96_116).

***52*_ بويه عبد القادر.** السياسة الفرنسية لعزل الصحراء الجزائرية وردود فعل الثورة. مجلة الثقافة الاسلامية . العدد 2 . 2006م . ص ص(127_140).

***53*_زوزو عبد الحميد.** الوضع في منطقة ورقلة قبيل الاحتلال. مجلة الأصالة

***54*_شلبي شهرزاد.** الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية. مجلة كان التاريخية . العدد 11 . 2011م . ص ص (84_86).

***55*_ لضفار رشيد.** مدينة ورقلة. مجلة التراث المحلي الورقلي. العدد 2. الجزائر. 2013م . ص ص (1_3).

بالفرنسية :

***58*_Demaght Major.** Ouargla. B.S.G.O. N°=4 (1878_1881). PP (82_92)

***59*_ Esquer**. Unrival D'Abd el Kader. R A. N°=68. 1927.

PP (438-431)

***60*_ Fèraud Charles**. Ben Djellab Sultans de Touggourt . R A. N°=30. 1886. pp (419_439).

***61*_Fèraud Charles**. Notes pour servir à L'Histoire d'Ourgla. R A. N°= 64. 1923. pp (381_442).

***62*_Mangin** . Notes sur L'Histoire de Laghouat. R A. N°=38. 1894. pp (79_108).

***63* _ Mangin**. Notes sur L'Histoire de Laghouat. R A. N°=39. 1895. pp (5_53).

***64*_Marmier.** Rapport sur le combat de maggarin. Livrè le 29 novembre. 1854. aux contingent rèunis du cheikh de Touggourt et de chèrif Mohammed Ben Abdallah. R A. N°=39. 1895. pp (155_159).

***65*_ Sèroka.** Le sud constantinois de 1830 à 1855. R A. N°= 53. 1912. pp (32_45).

***66*_Trumelet.** Notes pour servir à L'Histoire de L'insurrection dans le Sud de la province d'Alger en 1864. R A. N°=21. 1877 pp (110_118).

***67*_ بن ساعد عائشة**. البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. إشراف سعيدوني ناصر الدين. جامعة الجزائر. 2003_2004م.

***68*_ حباش فاطمة**. سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820_1896م). مذكرة لنيل شهادة الماجستير. إشراف بن نعيمة عبد المجيد. جامعة وهران. 2004_2005م.

***69*_دحماني توفيق.** النظام الضريبي بباياليك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني(1779_1830م). مذكرة لنيل شهادة الماجستير. إشراف بن خروف عمر. جامعة الجزائر. 2003_2004م .

***70*_ شويتام أرزقي**. المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني. مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه. اشراف بن خروف عمر. جامعة الجزائر. 2005_2006م.

***71*_ عطاشي عيسى**. صورة الجزائر في أدب الرحالات الفرنسية. " صيف في الصحراء " لفرومنتين نموذج. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. إشراف أحمد منور. جامعة الجزائر. 2006_2006م .

المعاجم :

72_ **الخطيب مصطفى عبد الكريم.** معجم المصطلحات والألقاب التاريخية . مؤسسة الرسالة. ط1 . بيروت. 1996م .

كلمة شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ – و

المدخل..... 2

الفصل الأول

مسار حياة محمد ابن عبد الله قبل الثورة.....12

المبحث الأول:

المولد والنشأة 13

المبحث الثاني:

مهامه في الإدارة الفرنسية وموقفه من مقاومة الأميرعبدالقادر.....16

المبحث الثالث:

رحلته إلى الحج ومعالم تبلور حسه النضالي.....22

الفصل الثاني

مرحلة القوة والتوسع في الثورة (1850_1852م).....28

المبحث الأول:

التحضيرات والعمليات العسكرية الأولى في ورقلة (1850_1851م)..29

المبحث الثاني:

التوسع والمد شمالا نحو الأغواط.....36

المبحث الثالث:

مجازر الفرنسيين في الأغواط.....45

الفصل الثالث

مرحلة التراجع والضعف ونهاية الثورة 48

المبحث الأول:

سقوط مدينة ورقلة 1854م والتراجع جنوبا.....49

المبحث الثاني:

لجوءه إلى تونس وفراغ الساحة للفرنسيين.....54

المبحث الثالث:

إعتقاله ونهاية ثورته 1861م.....56

المبحث الرابع:

المسيرة النضالية لمحمد بن عبد الله بعد نهاية ثورته.....58

الخاتمة.....63

قائمة الملاحق.....69

قائمة المصادر والمراجع.....80

الفهرس.....**90**